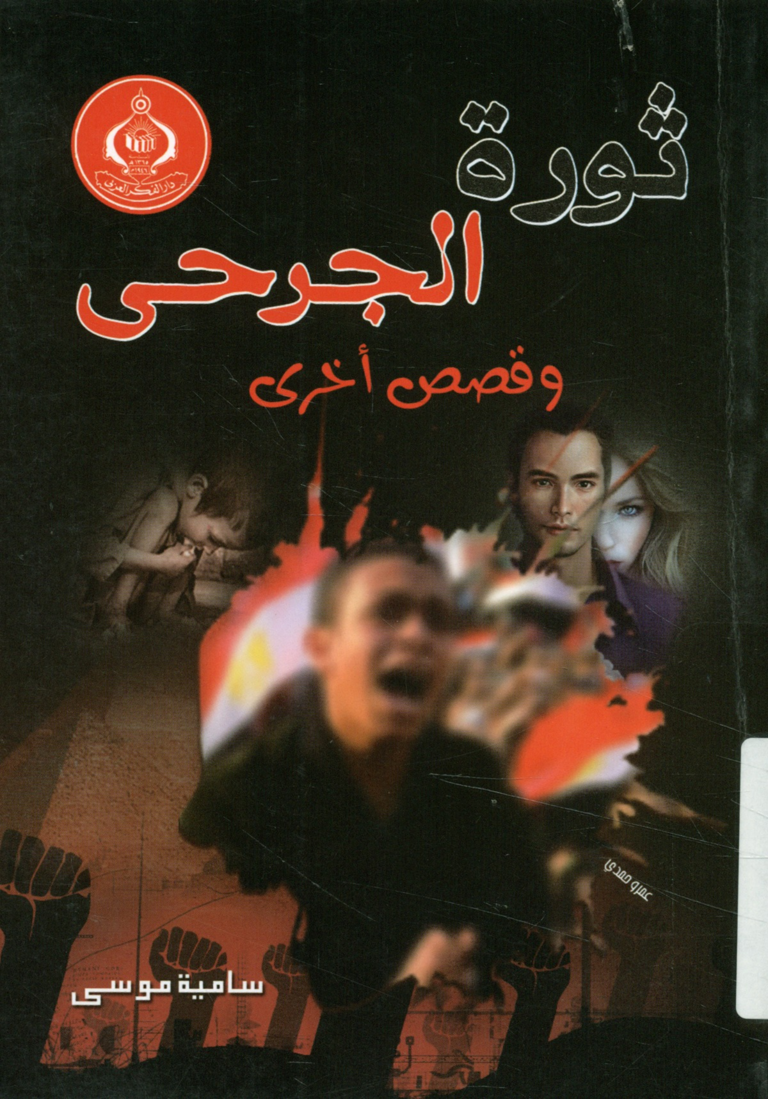

ثورة الجرحى
وقصص أخرى
سامية موسى
عمرو حمدي
دار الفكر العربي

# ثورة الجرحى

## (وقصص أخرى)

تأليف

سامية محمود محمد موسى

الطبعة الأولى

١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م

ملتزم الطبع والنشر

دار الفكر العربي

٩٤ شارع عباس العقاد - مدينة نصر - القاهرة

ت: ٢٢٧٥٢٧٩٤ - فاكس: ٢٢٧٥٢٧٣٥

٦أ شارع جواد حسني - ت: ٢٣٩٣٠١٦٧

www. darelfikrelarabi. com

info@darelfikrelarabi. com

٨١٣٫٩ سامية محمود محمد موسى.

س أ ث و ثورة الجرحى/ تأليف سامية محمود محمد موسى. - القاهرة: دار الفكر العربى، ١٤٣٤ هـ = ٢٠١٣م

١٠٤ص: إيض، ٢٠سم.

تدمك: ٠ - ٢٨٦٨ -١٠- ٩٧٧-٩٧٨.

١ - القصص العربية. - تاريخ - العصر الحديث. أ- العنوان.

جمع إلكترونى وطباعة



# إهداء

الى.....

الام الحبيبة مصر

والى.....

أولادي زهوري الثلاث

واحبائي

ونور عيني

أسعدهم الله "عز وجل"

***

# الهبوط على سماء مبتسمة

يقرأ المقرئ القرآن - في دوار قرية السليمانية - إحدى قرى محافظة الغربية- على روح عبد الرحيم بك سليمان أحد أكابر القرية الذي توفي بعد عناء مع المرض إثر أخذ أرضه بقرار ثورة ٢٣ يولية ١٩٥٢، وبعد أن باع أفدنة أخرى للعلاج.

وترتدي نساء البيت السواد.

وتبكي صفاء ذات الخامسة عشرة، البيضاء كالطفل الأبيض، ذات العيون الغزلانية والشعر الكستنائي الناعم المسترسل على ظهرها، وتخفف عنها ابنة عمها فكرية التي كالعذراء مريم، ثم قبل أن تنصرف تخبرها بخبر يسري عنها؛ أن إبراهيم أخاها استلم وظيفة مدرس بمدرسة في الإسكندرية، فتهدأ صفاء نوعا ما وتنظر للأفق.

تسلم زوجة الراحل- السيدة نعيمة هانم - على السيدات وتشكرهن حيث لاتأتي إليهن في أمر سيئ كما يقولون في تلك المواقف.

ثم تأخذ ابنها الصغير محيي في حضنها الذي سيتربى يتيما وتنظر إلى ابنها الكبير سليمان ضابط المركز قائلة: نريد أن نجلس معا لنرى ماذا سنفعل وكيف سيكمل إخوانك مأمون وأمين ومحيي تعليمهم. وقالت زهراء البنت الكبرى والتي تكبر سليمان وهي متزوجة بالقاهرة من صاحب مصنع نسيج "صفوان بك": ألا تأتي معي يا صفاء لتقضي يومين بالقاهرة، وعرضت أختها أميرة والتي تليها نفس الكلام فهي متزوجة من صاحب مصنع الزجاج وعضو مجلس الشعب " شاهين السباع " ولكن نعيمة هانم قالت: ليس الآن اتركوها معي هذه الأيام.

رتب خدم المنزل الجزء الذي تم بناؤه حديثا والذي أرضه بلاط وخشب وسجاجيد وبه نجف وأثاث وفير، ونزلوا إلى الجزء الريفي لكي يناموا وهم يخافون أن ينقطع أكل عيشهم بعد بيع الأرض وهبوط سادتهم اقتصاديا.

بعد أسبوع جاء إبراهيم يزور أبويه في القرية، وسأل أخته فكرية عن صفاء فقالت له إنها حزينة وليتك تتزوجها وتأخذها معك إلى الأسكندرية، فذهب إلى سليمان ابن عمه يطلبها منه، ولكن سليمان ساومه أن يترك قطعة أرض في الساحل الخصب "سبعة أفدنة" ويأخذ بدلا منها في الناحية القبلية، فأجاب إبراهيم أن باقي إخوته وأباه لن يوافقوا وخرج غاضبا.

زادت دموع صفاء وهزالها حتى جاءت أختها زهراء في الأربعين وصممت أن تأخذها معها هذه المرة مادامت في هذه الحالة.

رحب بها صفوان بك وقال: أنت الإبنة التي لم أنجبها. لقد رزقت بابني نشأت بعد عشر سنوات علاج وأنت الأخرى ابنتي. وبعد شهرين مرض

صفوان بك مرضًا شديدًا وتوفي تاركا زهراء ذات الثلاثين الناضجة الجميلة، ذات العيون الخضراء بولدها ذي الخمس سنوات تنعيه أنه لم يستمتع بابنه كثيرا بعد عشر سنوات علاج.

جاء عبدالحميد عم نشأت من قريتهم - بركة السبع - يعطي إيراد الأرض إلى أرملة أخيه وشاهد صفاء فكلم زهراء من أجل الزواج بها ولكن صفاء أبت حيث إنه ريفي غير متعلم، وكانت صفاء قد قصَّت شعرها الطويل حيث أشار عليها الطبيب ذلك أنه سبب هزالها فيأخذ الغذاء منها وأنها حين إذن ستصبح شكل فاتن حمامة ممثلة السينما وخاصة أن صفاء تحبها ومتأثرة بها.

اندمجت صفاء في الحياة بالقاهرة مع أختيها زهراء وأميرة حيث كانت منازلهما قريبة من بعض وبجانب المصانع بالعباسية.

كانت أميرة التي كالأميرة فعلا ذات العيون الخضراء الجميلة والوجه القمري والجسد الفاره كثيرة الإنجاب، وزوجها شاهين السباع يرحب بذلك حيث إنه غني ويريد أولادًا كثيرة، وصفاء تحب أولادهما وتندمج مع ابنتهما الكبرى سعاد التي تصغر صفاء بأربع سنوات.

تقدم شاب- أصل جده من قرية السليمانية يعيش مع أبيه وأمه بالزقازيق (محافظة الشرقية) يعمل مدرسًا - لِخطبة صفاء ووافق أخوها سليمان على الفور حيث إنه كان خطب زيزي -ابنة عمه عبد القادر- العذبة الحنونة، ويريد أن يتزوجا في وقت واحد أو ينهي مسئولية أخته البنت قبل زواجه.

وذهبت صفاء إلى الزقازيق مع العريس تنظر إلى المجهول الذي طرأ عليها وهي قلقة وربما خائفة من محمود هذا الذي هو في ريعان الشباب والصحة والوسامة ويشبه محمود مرسي "الممثل" وفخور بنفسه كثيرا وبذكائه، فكان قد أحب فتاة ابنة باشا من عائلة السلحدار في الزقازيق وكان طالبا لامعا بكلية الهندسة، وكانت أخته الوحيدة أميرة متزوجة من صالح بك السلحدار وكانت مشيرة السلحدار أخت صديقة ماهر، وكان يراها كثيرا عند أخته أميرة؛ وحين تقدم لخِطبتها رفضه أخوها المهندس ماهر السلحدار حيث إنه ابن مرسي أفندي الموظف بإدارة السكة الحديد وليس ابن باشا مثلهم. فدافع محمود عن حبه ووصل ماهر أنه ينوي الزواج من مشيرة رغم أنف أخيها حيث إنه سيكون مهندسًا مثله، فتوعد ماهر أنه لن يتركه يكمل مشوار الهندسة، وفعلا بنفوذه ونفوذ عائلته فصل محمود من كلية الهندسة جامعة القاهرة في السنة الثالثة وتحطم قلبه ومستقبله وعانى كثيرا في هذه الأزمة، فأراد الوالد الحنون أن يخرجه من أزمته فصمم أن يزوجه ابنة ناس أكابر أيضا، حيث وقع الاختيار على ابنة المرحوم عبد الرحيم بك الذي من قريتهم أساسا وكانت صفاء.

وكانت السيدة زكية أم محمود قوية الشخصية جدًّا لامعة العين تحب ابنها الوحيد بشكل مرضي حيث تَغير من زوجته عندما يدخلان حجرتهما وحدهما وعندما يضحكان معًا دون سبب تعرفه، وعندما تراه يقبلها قبل الذهاب إلى المدرسة، فصممت ألا يستمر هذا الوضع كثيرا وأخذت تهدد صفاء إذ فكرت أن تأخذ محمود وتقطن به في منزل منفرد بعيدا عنها لأن محمود يحبها أكثر من أي شخص آخر، وانقلبت الحياة شكاوى وجحيم على محمود، وكانت إحدى

الجارات إسلام تتردد على السيدة زكية التي أقعدها المرض على الكنبة وحدد حركتها إلا من لسانها وذكائها وشكواها الكاذبة ودموعها التمثيلية. فقالت إسلام لمحمود: لا تسكت لزوجتك إن أمك أهم، وقربت المسافة كثيرا بين محمود وإسلام التي ترضى عنها أمه وتحبها وهي من نفس السن وتترك شقتها بالدور الأرضي وزوجها جودة أفندي وأولادها الأربعة وتصعد للسيدة زكية دائما، بينما هي تصعد لمحمود، وحين اعترضت صفاء على ذهابها وإيابها في المنزل دون حرج في أي مكان وأنها لا تحبها، أجابتها السيدة زكية بشكيمة قوية: "لن تمشي إسلام من هنا، إنها ابنتي بالضبط وأنا أحبها وانتي قدمك فوق رقبتك، وعائلتك الأكابر ليس لها أهمية عندي".

احتارت صفاء وذهبت تشكو إلى جارتها في الشقة المجاورة زوجة مسعود الضابط بالجيش فهدأتها وضحكت معها أن ما في بطن صفاء إذا جاءت بنت ستزوجها لإبراهيم البالغ خمس سنوات، ونادت إبراهيم وهو يلعب بالكرة وقالت: "طنط صفاء ستأتي لك من بطنها بلعبة جميلة"، فأخذ ينظر لبطنها، يريد اللعبة بفروغ الصبر، وقالت صفاء: وأنا أحب إبراهيم فهيا تعالى معي أعطيك شيكولاتة.

في يوم – بعد حوالي سنة من الشجار بين صفاء وحماتها وزوجها– كانت صفاء عند جارتها صباح بوليدتها سارة، وبعد ثلاث ساعات دخلت الشقة فوجدت حماتها تجلس على الأريكة كما هي وقلقت حماتها حين رأتها عادت فلم تعبأ صفاء بقلقها واتجهت نحو حجرتها وفتحت الباب، فوجدت محمود وإسلام في الفراش في شكل مخجل حيث تجمدت صفاء على الباب وضمت

ابنتها وهرعت إلى باب الشقة وسافرت إلى أخيها الضابط سليمان بالمركز لتطلب الطلاق. لم يدافع محمود عن نفسه وطلقها.

تألم سليمان كثيرا من أجل الطفلة التي كان سببًا في وجودها حيث رفض أن تتزوج صفاء من ابن عمها إبراهيم وزوجها الشاب الغريب الذي لم يعرف عنه شيئًا وحدثت هذه المأساة، وأحاط الطفلة سارة بكل الرعاية والحنان والمسئولية.

نبتت سارة في بيت جدتها نعيمة هانم، وخالها محيي الذي كان يلاعبها دائما، وخالها مأمون الذي كان بالجامعة ويأتي كل خميس وجمعة، ورعاية خالها سليمان الذي كان يأتي بزوجته العذبة الحنونة وابنته أميمة وابنه محمد شهرا ويذهب إلى بيته بالمركز شهرا. وجدت سارة نفسها تقول له بابا مثل أميمة ومحمد وهو لا يفرق أبدا بل كان يميزها في الأحضان، وكان يداعب ابنته نجوى وهي على كتف أمها قائلاً: " اكبري حتى تلعبي مع سارة أنت الأخرى"، وكان يصمم بعد أن يصلي الفجر كل يوم ويلبس للذهاب للمركز أن يستيقظ الأبناء الثلاثة سارة وأميمة ومحمد وينظم لهم طابورًا ويذهب بهم إلى الحمام ليغسل كل واحد وجهه بصابونته الخاصة اللوكس ذات اللون المعين - ليعرف كل منهم صابونته- فكانت صابونتها خضراء وأميمة بيضاء ومحمد صفراء، وكل واحد منشفته الخاصة، ثم يقفوا طابورا يسلموا عليه ويقبلوا يده ويأخذ كل منهم قرشين مصروف، وينصرف ليكمل نومه غالبا. وفي العصر يلعبون تحت تكعيبة العنب الواسعة التي تطل على بحر صغير- كما يسمونه في القرية- يمر من أمام المنزل، ويصل المنزل وتحت تكعيبة العنب بالشارع قنطرة (كوبري) صغيرة، ويملأ الشارع منازل عريقة كلها تخص أعمام أمها وأخوالها. وخالتها فاطمة التي

كانت كالثورة المعذبة من موت طفلتها على أيدي الخدم بحريق، ثم طلاقها، ومن تمرد الفلاحين على أسيادهم الأكابر، وأن جمال عبد الناصر هو السبب؛ حيث أعطى أرضهم للمؤاجرين، فكانت تلعن في أي فلاح أو فلاحة تستقرب الطريق وتمر من هذا الشارع حيث إنه كله بيوت العائلة السليمانية ولا ينبغي على الفلاحين الرعاع أن يمروا منه.

كان يسترعي انتباه سارة خالها عبد الفتاح – الذي هو في سن خالها الشقيق محيي وأخ لطنط فكرية- حين يركب جواده ويجول في شوارع القرية وأي فلاح في الطريق يفسح له حتى لا يشوطه بالجواد، وهو أول من ركَّبها الحصان وعلمها ماذا تفعل باللجام وتضغط بقدميها على بطن الحصان وهي خمس سنوات، وكان عبد الفتاح هذا ذا وجه أبيض وعينين زرقاوين وشعر أسود كثيف وملامح دقيقة منمقة. أهداها مهرة صغيرة حين قالت له: أحب حصانك، فقال لها: "عندما تلد المهرة الكبيرة سأعطيك ولدها ولكن ترعيه بنفسك"، فأجابت: "لا أعرف"، فقال: "سأرعاه أنا لك حتى تكبري". وعندما كانت في الرابعة من عمرها في منزل خال أمها حيث زوجته عمة أمها أيضا التي تعطيها بونبون "نادرل" كلما ذهبت إليها وأهدتها قطة كانت تصعد شجرة الليمون التي في فناء الجزء الريفي من منزلها، وأخذت عهدًا عليها أن ترعى القطة باللبن حتى تكبر، وكانت القطة بها حبل أمسكته سارة وجلست على الأريكة وغفت عيناها فرأت في سقف الحجرة أميرات على رؤوسهن تيجان وأن جدتها منيرة عمة أمها تأخذ تاج إحداهن وتلبسه سارة وقالت لها: "هذه القطة هي الأميرة حورية التي أخذتي تاجها يا سارة، حافظي عليها

وعلى التاج وعلى عذريتك لا يلمسك أحد حتى تصبحي مثلها في الجنة".
واستيقظت سارة مسرعة مندهشة تفتح الباب وتشد القطة من الحبل وتخرج لتذهب لأمها، وعندما جاء المساء كان يزور جدتها بالقرية محمد ابن خالتها أميرة وابن شاهين السباع - الذي أقاموا له الحفاوة الكبيرة والاهتمام البالغ- وهو في الصف الأول الثانوي كان يضحك، وأخذ منها القطة وحين ذهبت لتحضر لها لبنًا وجدته قد فك الحبل وترك القطة تخرج من شباك الحجرة الكبير الواسع الذي به أعواد الحديد، وجرت علي الباب لتلحق القطة ولكن منظر بشع، كلب أسود كبير أمسكها (القطة) وسارة تصرخ وأمها تمسك بها حتى لاتجري خلفها وهي تقول لا تتركيني ياحورية، ورأت كأن أميرة خرجت من القطة واستقرت في جسدها، والقطة تحتضر فوقعت سارة بإغماء عليها، ومن يومها تكره محمد هذا. اندمجت باللعب مع أميمة ومحمد حيث كانت تظنهما أخواتها كما قالت لها أمها، يقذفون أحجارًا في البحر الصغير لتصنع دوائر والذي تصنع حجارته دوائر أكثر هو الفائز. يصعدون السطوح يلعبون حيث به خيال المآتة الذي يلبس جلبابًا وهي تظنه رجلاً صامتًا أوقفته جدتها ليخاف منه الغربان، ولا يقتربون من برج الحمام الذي طالما وقفت مع الحمام تتخيل أنها حمامة بيضاء تحلق بالفضاء لتذهب هنا وهناك بحرية فأحبت الحمام جدا، وكانت جدتها تذبح لها الحمام خصيصا لمفردها وتدخلها حجرة تخزين الطعام تأكله حتى لايراها أحد فهي لم تذبح للجميع، فهي حنونة جدًّا على سارة لنفس السبب الذي قاله خالها محيي لأخيه سليمان حين قال له: لماذا تفضل سارة في اللعب على أبناء أخيك. محيي: لأنها بدون أب مثلي حتى أمين أخي

الذي تولى أمري توفي فأحس أني يتيم أنا وهي. فاستغربت سارة للرد أنها تنادي سليمان بابا فدفنت الجملة داخلها وهي لا تفهم، وفي المساء قالت لأمها: لماذا لايأتي بابا ينام معنا مثلما ينام في حجرة طنط زيزي؟ الأم: أنا لا أريد. كانت الجدة نعيمة هانم حزينة على ابنها أمين الذي توفي وهو أستاذ بالأزهر وتلقبه "عريس السماء" فقد كان خطيبًا وتنظر إلى صورته المعلقة على الحائط دائما بأسى وحزن وتقول إنه خليفة أبيها الله يرحمها، كان أستاذًا أزهريًا مثله ومعه العالمية وكانت الجدة نعيمة هانم تعرف الفرنسية والإنجليزية وتفخر دائما بعائلتها حيث هي ابنة عم زوجها، وبأثاثها الذي سافر ابن خالها الدكتور إبراهيم مجدي باشا إلى فرنسا وأحضره لها على المركب وأن ابن خالها كان يولد الملكة فريدة زوجة الملك فاروق والملكة ناريمان وكثيرة الفخر بالعبيد والجواري الذين كان يمتلكهم جدودها وأبوها وكيف كانوا يخصون العبيد الذين يحرسون النساء مثل الخراف وكيف كان يختبئ سليمان ابنها في صندوق الجنيهات الذهب من أخته زهراء أثناء لعبة الغميضة وأن هذا القالب الفضة كان لطربوش زوجها عبد الرحيم بك وأعمامها هم عمد القرية بالتوالي وكم كانوا بعز ونعيم أيام الملك وجدها الأكبر عزم الملك فؤاد وهو يمر بالذهبية (المركبة) بالبحر الكبير إلى الشارع الرئيس بالقرية وأنعم عليه بثلاثة آلاف فدان وأهداه نيشان وأن وأن. . . . . . . . إلخ. أما سليمان كان يأتي من العمل على حمارته البيضاء ويجري المرابع (الخدم) لينزلوه ويأخذ الحمارة يدخلها من باب الحظيرة حيث المواشي والدواجن من الناحية الأخرى، ويجري الأطفال سارة وأميمة ومحمد مهللين: بابا جاء، فيحتضنهم ويعطي كلاً منهم شيكولاتة وفي

المساء يدخل السرير ذا النموسية البيضاء ويلتفون حوله يحكي لهم حواديت وخاصة حدوتة العذراء مريم الطاهرة التي لم يلمسها أحد، فأحبها الله وليتك يا سارة وأميمة تكونان كالعذراء مريم حتى يحبكما الله. وحواديت أخرى هي في الأصل قصص الأنبياء، ويطلب منهما تدليك قدميه، فكان هذا هو الشيء الثقيل عليهما هي وأميمة وينام أثناء الحدوتة فتوقظانه بشدة: لا تنم وأكمل لنا الحدوتة. فيقول: وأنتما دلكا قدميّ. قالت ذات مرة الجدة حافظة زوجة خال أمها الآخر في منزل مقابل لهم: سأعطيك العقد والحلق الألماز عندما تكبرين وتتزوجين صبحي ابني الذي كان يلاعبها كثيرا ولكنه الوحيد في إخوته الذي كره التعليم والمدرسة وتركه أبوه حتى يتولى الأرض من بعده لأن إخوته الخمسة الذكور يتعلمون ومن يتعلم يسكن القاهرة ويترك القرية والأرض. أما فوقية أخته من سن أمها صفاء تأتي كثيرا تداعبها فلاحظت سارة في سريرتها أن الجميع يفضلهاعن أميمة ومحمد ويعاملها بحنان أكثر ولكن لم تعلم أنها شفقة لأنها بدون أب حيث هو لم يسأل عنها وسافر إلى ألمانيا وأراد الزواج بألمانية، وعلمت صفاء من عم محمود الذي يسكن القرية ففكرت: إذن هو لن يعود إلى مصر وسيظل بألمانيا وأنا لن أتزوج العريس الذي رآها مرة وهو يزور أخاها سليمان وهو ضابط؛ لقد أحست أنها مسئولة عن سارة مسئولية كاملة وقررت عدم الزواج نهائيا من أجل سارة.

حين بلغت سارة قرب السادسة من عمرها قالت زيزي هانم العذبة الحنون: نود نعلم أميمة وسارة كتابة أسمائهما وحروف الهجاء والجمل، ثم جاء دور الاسم لتكتب كل فتاة اسمها. كتبت سارة مسرعة سارة سليمان عبد الرحيم

وهنا بكت صفاء بشدة وربتت زيزي على ظهر سارة: لا ياحبيبتي ليس هذا اسم أبيك. أبوك اسمه محمود. اندهشت سارة كيف؟ ومن محمود هذا؟ وصفاء تبكي ولاترد وتوضح الجدة: سليمان هذا خالك مثل محيي ومأمون وليس أباك. سارة: وأين أبي؟. الجدة: مسافر. سارة أليس له صورة؟ أريد أن أراه. الجدة لصفاء: لقد مزقت صورة الزفاف كانت تنفع لأريك إياها وصفاء تبكي وسارة وقعت عليها صاعقة لا تستطيع أن تستوعب مع أنها ذكية كما يقولون وذهبت حجرتها لتنام وتنسى.

- علمت صفاء أن محمود عاد وتزوج مصرية من ميت غمر، جميلة جدًّا كالمهرة البيضاء مثل (مها صبري المغنية) ثم طلقها بعد سبعة شهور وهي حامل لأن أمه أوشت له أنها تعاكس رجال الجيران وتلبس العاري وتقف بالبلكون أثناء غيابه. ودائما مصدر المعلومات هو عم محمود عبد المقصود الريفي الذي يسافر الزقازيق لأخيه مرسي أفندي يأخذ منه نقودًا من آن لآخر.

- ثم جاءت زهراء تزور أمها، وعرضت على صفاء تأتي بسارة للقاهرة وتلحقها المدرسة هناك؛ لأنها تريد الونس فهي أرملة من زمن وصفاء مطلقة الآن فيعيشان معًا يؤنسان بعضهما، وعرضت على مأمون أيضًا يأتي مدرسًا بالقاهرة بدلا من طنطا ليكون رجل المنزل وكان في ذهنها مأرب فهي فاتنة جميلة يطمع فيها الرجال. ويطمع حجاج ابن عم زوجها وشريكه في المصنع في شراء المصنع بأكمله منها بثمن زهيد. فأرادت أن تقيم لنفسها عائلة تحمي بها نفسها وابنها ومصنعه حتى يكبر وينهي دراسته ويتسلم مصنع أبيه ليديره بنفسه، فبات هذا هدفها وحلمها أن يدخل نشأت كلية الهندسة ليمتلك المصنع ويديره جيدا. وفعلا وافقت صفاء ومأمون وانتقلا إلى القاهرة.

- دخلت سارة المدرسة بالقاهرة وحين كتبت اسمها أول مرة كتبته سارة سليمان عبد الرحيم. فقالت أبلة سيدة: اسمك غلط من أين هذا الاسم لك؟ فاسمك سارة محمود مرسي وأخذت تعلمها كيف تكتب محمود وسارة تذرف دموعها على الورق. وحين عادت للمنزل قذفت بالحقيبة وصرخت: من محمود هذا؟ أريد أراه. والأم تأخذها في أحضانها: حاضر يا حبيبتي يا قطة ماما لا تحزني. وكلما تركتها جارتها انتصار التي معها بالمدرسة أثناء اللعب وجرت على أبيها دون أن تعبأ بها تذهب سارة إلى الشباك وتتذكر الحمام كيف كان يطير ويحلق وليت لها جناحان لتحلق في الفضاء وترى محمود هذا.

- اندمجت سارة مع أولاد خالتها أميرة فقد ظللت تنجب حتى بلغوا تسعة أبناء منهم فتاتان في سن سارة وهدى أكبر بسنتين وهيفاء مثلها بالضبط وكانت أسعد الأوقات معهما وهي ترى الجميع يقدس عمها شاهين السباع حين يدخل من الباب ويقف الجميع احتراما حتى يدخل حجرته وتدخل خلفه زوجته. كنَّ تلعبن خلف زجاج البلكونة حيث تمثل سارة الإعلانات التي تراها بالتلفاز وتقوم بدور المذيعة ويصفق لها هدى وهيفاء ومدحت الذي يصغرهم بثلاث سنوات. وحين بلغت السابعة كانوا يلعبون الغميضة وتتخفى سارة وهدى وهيفاء تحت منضدة السفرة من مدحت الذي يبحث عنهم، بينما صفاء وأميرة وزهراء يجلسن على الأريكة يتجاذبون أطراف الحديث وباقي الأبناء كل في حجرته يذاكر، خرج من حجرته الولد الثاني لأميرة الرابع في الترتيب وهو بالإعدادية يطلب من الخادمة مشروبًا ربما سحلب فكان الجو باردا. ضحكت أميرة لمختار: هل أنهيت مذاكرتك؟ مختار: نعم.

الأم: لو أحرزت مجموعًا كبيرًا بالإعدادية سأعطيك هدية. مختار بشغف: ما هي؟ نظرت الأم أمامها أسفل السفرة وقالت: سأزوجك سارة فما رأيك ياصفاء؟ ضحكت صفاء: مفيش مانع فقط يطلع هو راجل كويس فلن أجد أحسن منه لابنتي.

انشرح مختار وذهب أسفل السفرة وجذب سارة من ذراعها فخرجت تجري وخلفها هدى وهيفاء على حجرتهن فدخل مختار خلفهن وحمل سارة من فوق الأرض ورفعها إلى أعلى وهو يسند على الحائط وقال مبتسما: هل تتزوجيني حقا؟ ابتسمت خجلا وهي أعلى وتنظر إلى وجهه الضاحك أومأت نعم أتزوجك. قال: ماذا تريديني أكون؟

سارة: أريدك ضابطًا.

مختار: لماذا؟

سارة: لكي تحميني. فهي تفتقد الحماية التي كانت تشعرها من أبيها سليمان فكان كالأسد الذي يحمي القبيلة بوجوده وتخاف منه باقي الغابة. فأرادت من مختار الحماية. فقال: أحميكي وماذا أيضا؟

سارة: وتقبض على الحرامية وتصبح صورك في الجرائد مثل عمي شاهين: فضحك وأنزلها من أعلى، وأثناء نزولها قبلها من جبهتها ووضعها على الأرض ونظر للأمام وقال: إذن عرفت طريقي وماذا سأفعل وخرج من الحجرة وتركها تلعب مع إخوته هدى وهيفاء.

أحاط مختار سارة بالمداعبة والاهتمام واللعب معهم من أجلها كلما ذهبت لخالتها أميرة وعلمها الشطرنج والطاولة ولعب معها السلم والثعبان وشجعها على شغل الكنافاة مع أمها وهيفاء وهدى ويحضر لها الفاكهة دائما. وفي عيد ميلادها التاسع الذي تعودوا جميعا حضورة عند خالتها زهراء أعطتها أمها أول هدية. بينما نشأت الذي بكلية الهندسة معلق على السلم يعلق زينة عيد الميلاد وينفخ البالون وخالتها تصنع الكيك وأمها تشترى التورتة والجاتوه. وكانت الهدية مصحفًا، الذي قالت لها صفاء: اقرئي هذا الكتاب سينفعك دنيا وآخرة بدل مجلات سمير وميكي، وعلمتها الصلاة وكان مشهدًا مألوفًا لسارة فهي ترى جميع الأسرة يصلون فتعلمت بسهولة ويسر. وفي المساء كانت الحفلة والهدايا من صديقاتها بالمدرسة أيضا كاميليا وشكرية وانتصار. كانت صفاء تأخذ كل هذه المجموعة كل يوم اثنين إلى السينما التي خلف المنزل وهي سينما درجة ثانية بها ثلاثة أفلام عرض اثنان عربي وواحد أجنبي. ونشأ الخيال أكثر وأكثر عند سارة وأخذت تؤلف حواديت لأصدقائها على غرار الأفلام التي تراها على أنها أفلام فاتن حمامة التي تحبها هي وشادية وكانوا يعجبون بحواديتها، وكلما خرجت في رحلة مع المدرسة إلى الهرم لا تنسى ركوب الحصان الذي علمه إياها خالها عبد الفتاح ورأت الأسد بحديقة الحيوانات الذي ذكرها بحماية خالها سليمان وكانت سعيدة حيث أحضرت لها أمها ملابس العيد، حقيبة وحذاء وفستان وصنعت لها غطاء رأس (كاب) بنفس لون الفستان من التريكو وتحلم بجمع العيدية كل عام مع أولاد خالتها هدى وهيفاء من خالها مأمون وعمها شاهين وأخيه عبد الحميد السباع الذي يعمل معه بالمصنع وقريبهم أمين القاضي وقبل أن يأتي العيد.

دق جرس الباب وهي تجلس على فخذي أمها تسمع الراديو معها، فالأم شغوفة بتمثيلياته، وإذا بزوج أختهم شاهين السباع وفي ذات الوقت والدته ابنة عمة عبد الرحيم بك والدهم، يأتي فجأة حيث إنه لايأتي إلا في الأعياد أو العزومة السنوية التي يقيمها له ولأسرته فهو ذو مشاغل كثيرة فتحيرت زهراء وصفاء حيث الصباح من يوم الجمعة ولم يتعود زيارتهما هكذا فنظرتا ترحبان به في دهشة واستفهام!! فجلس في الصالون وطلب كوب ماء وقال بصوت عال ودود: يا صفاء ألبسي سارة فإن محمود والدها عندي بالمصنع يريد أن يراها.

- صكت صفاء وجهها مزمجرة. لقد عرف طريقها وسيأخذها مني وبكت، لقد رتبت نفسي أنها ابنتي وحدي وسأعيش من أجلها بينما سارة فرحة وقلقة وحزينة من أجل أمها. سترى هذا المحمود الذي تكتب اسمه بالمدرسة ولطاما حلمت أنها حمامة تحلق بالفضاء وتنقب عنه لتراه وتعرف ملامحه. ألبستها صفاء فستان العيد القطيفة البمبي وكل ماجهز للعيد وذهبت مع عمها شاهين السباع حيث المصنع قريب من المنزل تسير وهي كلوح ثلج تتخيل الفراغ والمجهول. صعدا سلمًا حيث حجرة مكتب عمها شاهين الذي دخل أولا يضحك مشيرا: هذه هي سارة يا محمود، وهي كالماديليا خلف عمها شاهين تنظر فإذا برجل جالس ذي شارب صدمها شاربه هبَّ واقفا كان ضخمًا مخيفًا بالبالطو الأزرق الذي يرتديه مهزومًا فوق البدلة شكله ليس مألوفًا كأخوالها وأعمام أمها السبعة وأخوال أمها فجميعهم ذوو العيون الخضراء والزرقاء والوجه الأحمر والأبيض والبمبي فإن بهم عرقًا تركيًا لجدتهم. أما هو فيميل للأسمر الفاتح، عيناه

صغيرتان ذو شكل جديد عليها أخذها من يدها وأجلسها على فخذيه وقبلها في خديها وشاكها شاربه فتألمت ولكنها تحملت فخجلت أن تبدي ألمها وضحك عمها شاهين وهو جالس على كرسي مكتبه. ماذا بك صامتة يا سارة هذا أبوكي جاء من ليبيا ليراكي حيث إجازة نصف العام وأحضر لكِ شيكولاتة.

لم تعبأ ولم تستطع الكلام فمد أبوها يده على صندوق شيكولاتة بجانب الكرسي وسحبه يقدمه لها قائلا: كلي كل ما فيه. ربما كان مهزوز المشاعر الأبوية أن له ابنة هكذا ولم يرها من قبل حيث نهره كثيرا صديقه سامي بليبيا كيف يارجل لك طفلة تسع سنوات مثل ابنتي ولاتعلمها؟ فوجد أن سامي على حق كيف به لم يعلمها من قبل ولمعت عيناه بالدموع لجمود سارة معه وهي تجلس كقطعة ثلج على فخذيه تريد أن تنزل وهو يجذبها لتبقى ويقول بصوت منخفض: ألا تحبينني؟ وهي مصره على النزول ونظرت إليه في دهشة تعبر عما في داخلها: من أنت؟ أنا لا أعرفك. وقالت لزوج خالتها: أريد العودة إلى ماما، فقال أبوها: ألا تأتي معي؟ فجرت مسرعة خلف شماعة طويلة عليها بالطو زوج خالتها وعلا صوتها: لا سأذهب إلى ماما. فردَّ زوج خالتها ملطفا. ليس الآن يامحمود تأخذ عليك أولا. قام أبوها وانصرف حزينا متوعدا كأن صفاء هي السبب. أخذ عمها شاهين صندوق الشيكولاتة وحمله إياها ليعيدها إلى أمها.

- صعدت السلم فرحة بالعودة إلى أمها الحنون التي تألفها وجدتها منهارة دموعا وبكاء فتلقفتها بالأحضان كأنها عائدة من بلاد (الهاو ماو) بعد سنين غربة. سارة لأمها: لا تخافي يا أمي لقد عدت وفتحت الشيكولاتة لتعطي أمها ولكن صفاء أزاحتها: لا أريد كلي أنت. وجاءت جارتها انتصار وأكلت

معها شيكولاتة وحكت لها سارة: لقد جاء أبي ورأيته. بعد انتهاء إجازة نصف العام وبعد شهر وهي في المدرسة جاء الأستاذ عنتر مدرس النشاط ينادي بالفصل: سارة محمود مرسي لكي طرد هلمي عند الناظر لتتسلميه. لم تفهم ماذا يعني طرد وذهبت فوجدت عروسة جميلة كبيرة في يد الناظر وحقيبة بها ملابس وأحذية يقول لها الناظر مبتسما: أبوكي أرسل لكي هذه من ليبيا استلميها يا سارة واذهبي إلى المنزل أنت اليوم إجازة من المدرسة.

- جرت فرحة إلى المنزل لترى أمها العروسة ذات العيون الزرقاء مثل أهل أمها والتي تغمض عينيها وتقول ماما وبابا وترتدي فستان بمبي كأنه ثوب عرس. خبأت صفاء حزنها حتى لا تضيع فرحة سارة وقالت: إنها جميلة ولكن أنت أجمل ياقطة ماما ياست البنات. كانت سارة فمها صغير كأمها وجهها مستدير ذو لون أبيض خمري وعيناها لأبيها لها وجنتان واضحتان وطابع حسن وجسم متوسط لدن وشعرها بني بين أمها وأبيها.

- اندلعت حرب ٦٧ وهاجر سكان المدن إلى القرى. ذهبت صفاء بالعروسة سارة وعروستها الأعجوبة في ذلك الوقت لكل من رآها في القرية من الأطفال الذين يلعبون معها ويتعجبون على تلك السنيورة مثل سنية ورسمية بنتيْ التاجر الكبير وأولاد خالها سليمان وأولاد أخوات طنطها زيزي. وكان فيهم جودت الذي يكبرها بثلاث سنوات ودائما يختارها في اللعب ليكونا ثنائيًا ولد وبنت وكان كل ولد يختار فتاة وهم يلعبون. فيصعدون شجر التوت والجميز والجوافة ليهز كل ولد فرعًا من الشجرة فيسقط ما به من ثمار وتجمعها البنت التي اختارها ثم يعطيها منها لتأكل ولكن جودت كان يقسمها مناصفة مع

سارة ويتركها تعطي هدى ابنة خالتها كما تشاء من الثمار ويقول لها: أنا اخترتك لأن نورا يشع منكي فكانت تبتسم ولا تفهم ولكنها تسعد بهذا الرجل الهمام الصغير. ذات يوم سألها ماذا تريدينني أكون؟ أجابت طبيب في القلب. جودت: وحين إذن تتزوجيني. سارة: أنا مخطوبة لمختار ابن خالتي وسيكون ضابطا من أجلي. جودت: أعرفه ولكن إذا لم تتزوجيه سأتزوجك أنا. وانتهت الحرب وعاد الجميع أدراجه في حالة نكسة للبلد عاشتها سارة جيدا وهي تقف بالبلكون أثناء الغارة والكل يطفئ النور وهي خائفة تفتقد حماية الأسد خالها سليمان وتفكر: لا بد أنه يستطيع فعل شيء.

- وعندما تمت إحدى عشرة سنة ذهبت للقرية مع أمها في الإجازة ولم تعرف المجهول المخبأ لها. جاء أبوها في القرية لخال أمها الذي يلقبها بالقطة الدافئة ويلبس طربوشًا صغيرًا حوله شال أبيض طالما تمنت في نفسها تأخذ هذا الطربوش الصغير ويلبس هو طربوشًا كبيرًا وكان يتمتع بالحمرة والعيون الرمادية. جلس مع أبيها وجدها مرسي لأبيها حيث يقول أبوها: أعطيها لي بدلا من المحكمة إنها بسن من حقي. فدخل الخال إلى صفاء وقال لها: هذا كلام معقول لا تعرضي سارة لموقف المحكمة. ودخل خلفه جدها لأبيها وكان في لون أبيها وعيونه ولكنه يفيض نورا وحنانا. وقال لا تخافي يا صفاء إن سارة في الحفظ والصون معنا سآخذ بالي منها وأرعاها أنا لن أعيش حتى أرى مثلها من أولاد محمود فهي حفيدتي الغالية. بكت صفاء ثم حبست دموعها وارتجف صدرها وهي تسدي النصائح لسارة الوديعة الغالية: اذهبي مع أبيكي واسمعي كلامه

ولا تأخذي نقودًا إلا منه وكلي طبقك كله وذاكري دروسك جيدا ولاتكذبي على أبيكي مثلما لا تكذبين علي. وتلقفها جدها مرسي كأنه عثر على كنز وخرجا من الباب بها وأبوها شامخ منتصر وذهبا إلى السيارة الزرقاء ذات الستائر البيضاء في الخلف وأجلسها في الأمام بجانب أبيها وجلس الجد بالخلف وهي تغوص في نفسها لا تنطق متبلدة محلقة في الفضاء: ماذا سيكون بالعالم الجديد؟. وجودت يقف بعيدا يبكي وينطق بألفاظ ربما تكون لعنات حيث يفطن برجولته الصغيرة أنها ستختفي من عالم عائلة الأم.

- دخلت سارة عمارة أبيها وصعدت السلم في انعدام وزن حيث شقة واسعة ستة حجرات وصالتين بناها من نقود ليبيا وتزوج ابنة المقاول الذي بنى العمارة. أراها حجرتها التي بجانب حجرة جدها مرسي الطيب الحنون فقبعت في السرير تريد أن تنام وتهرب من شيء ما.

- تفجرت أنوثة سارة الصارخة عند أبيها ولكنها لم تعبأ بها فكانت تركز في التفوق والصلاة لترضي أمها التي تحلق بخيالها كل يوم لتراها وتحسها وحين تأتي إجازة الصيف تتوسل إلى أبيها لتذهب إلى أمها فيزمجر أن أمها السبب في الطلاق ولم تتحمله وأن أهلها أسرعوا في طلاقها ولذا لن يتركها تذهب إليها. ولكن سارة تبكي وتتعذب. تتدخل مشيرة هانم السلحدار الكبيرة زوجة جمال بك التي بالفيلا المجاورة لهم وعندها أربعة بنات اثنتان من سن سارة وابنة عمتها أميرة التي تدعى سهى وتغار من سارة لتفوقها الدراسي وهما في فصل واحد. ولكن سميرة ومنيرة بنات مشيرة هانم الكبيرة يقدران موقف سارة ويتلطفون بها ويخضع الأب لرجاء مشيرة هانم وتذهب سارة لأمها وهو يتوعد أن العام القادم في الإجازة لن تذهب.

- تهنأ سارة ببنات خالتها أميرة ويشترون الكتب والقصص من مكتبة مدبولي ويهتمون بالأزياء والأفلام ومختار يحيطها بالغزل العفيف وخفة الظل ويحثها أن تنهي دراستها متعجلة حيث إنه في نهائي شرطة لكي يتزوجا وهي تبتسم خجلا وتطمئن أنه على عهده ويأتي أبوها لـ يأخذها في نهاية الإجازة لتبدأ دراسة جديدة في الزقازيق بعد شحذ همتها. كانت تذهب يوم الجمعة لنادي الشرقية مع سميرة ومنيرة وكانت سهى تردد أن أباها يملك مائة فدان وأنها ستملك عزبة بعد وفاته ولا يهم التفوق الدراسي ولكن سارة لم تعبأ بذلك فهي تعرف طريقها وجدها فخور بها بتفوقها وأدبها وكمالها وعقلها وأن أقرانه على القهوة يشيدون بها: حفيدتك مثل الجنيه الذهب لا تلتفت لأي شاب يعاكسها في الطريق فنعم الأخلاق. ابن زميل أبيها يتلوع بحبها وهي تأخذ ما يكتبه لها تعطيه لأبيها ليتصرف فهي في قرارة نفسها مخطوبة لمختار. وجاء حفيد الجد عبد المقصود لزيارتهم وأراد أن يخطبها وهي في الإعدادية فحين إذن قالت لأبيها إنها مخطوبة لمختار ابن خالتها فقال بلهجة حادة حازمة: لن أزوجك من أهل أمك. فقررت في نفسها ولا من أهلك. واهتز بداخلها شيء مهم كان يصنع لها الاستقرار العاطفي وصمم أبوها ألا تذهب لأمها مرة أخرى ليهزم أمها التي طلبت الطلاق فأرسلت خطابًا لأمها بذلك فلجأت صفاء لكبير عائلتهم شاهين السباع ليحل المشكلة. فجاء إلى الزقازيق وبمجرد أن رآه محمود تنازل عن رأيه وسلمه سارة. ولكن الموقف بات مزعجا، كل سنة مشكلة لكي ترى أمها وتنعم بحضنها. فاهتز بداخلها شيء أعمق وبدأ تفوقها في الانحدار. ومشيرة هانم السلحدار ابنة صادق باشا تشفق عليها وتقول لعمتها أميرة إن محمود غلطان، البنت لابد أن تذهب لأمها إن منظر البنت مختنق عاطفيا لحرمانها الحنان وسارة

لا تملك أن تفعل شيئًا فأخذت أنبوبة أسبرين للانتحار وذهبوا بها إلى المستشفى لغسيل المعدة وزجرت مشيرة هانم عندما زارتها بالمستشفى ولامت عمتها: أهذا جيد كده كويس؟! فخاف محمود وجمع ثيابها وذهب بها لأمها في منتصف الليل وأخبرها: سأحول لكي أوراق المدرسة عند أمك فصعدت ونامت في حضن أمها أربعة وعشرين ساعة متواصلة وكانت بمنتصف العام بالثانوية العامة حين ذاك ولم تذاكر شيئا وأفلتت منها السيطرة على العام الدراسي ورسبت في تلك العام وكأن صاعقة على الطالبة التي هي الأولى كل عام وكأن حلقات السلسلة قد تفككت ولم تسيطر عليها. كان مؤلمًا أن ترى أترابها دخلوا الجامعة ابنة خالتها وجارتها وصديقتها كاميليا فأحست بعزلة ووحدة شديدة مع ذاتها جعلتها ترسب للمرة الثانية لتفكر في الانتحار من جديد. وبينما تفتح الجريدة في الصباح وجدت إعلان الدكتور فريد محمود: إذا كنت تفكر بالانتحار تعالى إليّ أساعدك فارتدت ملابس أنيقة كعادتها لتظهر أنوثتها وجمالها وجسمها الذي يشبه هند رستم فكانت هذه النقطة منفصلة عن حزنها لتربطها بالحياة، لم تتخلى عنها في خضم الأحزان والتحليق بالفضاء لتحقق ما تريد. واذا به رجل ذو عيون خضراء وشبه كبير لعائلة أمها وكأنه جاء من العصر الملكي عصر الملك فاروق ليربت على كتفها ويطمئنها أنها ليست نهاية العالم ويمكن تعيد ترابط الحلقات بالسلسلة من جديد ولكن ليس بسهولة فاطمأنت له ووجدت به أبا روحيا كانت تتمناه ولطالما حلقت في الفضاء لتجده.

- ذات يوم عرض عليها خالها مأمون الذي تزوج ويقطن بالقرب منهم وكما تقول جدتها تزوج من سوداء كالعبيد والجواري ولا تدري لماذا وهو كالقمر وسليل الأكابر. عرض أن تحول من علمي إلى أدبي حتى لا ترسب مرة أخرى

وذلك يتطلب نزول سنة إلى الثانية أدبي وقبلت على مضض أن تضيع سنة ثالثة ولكن مضطرة فربما يعيد ذلك حلقات السلسلة إليها في ترابط. تتردد على الدكتور فريد وكأنه أصبح عمودًا أساسيًا في بناء تكوينها بعد ذلك فهو كشاطئ النيل الذي يحفظ الماء بين جنباته فيحافظ عليها ولا يبخل بالنصائح والإرشاد والمعلومات الراقية لأنه ابن محمود باشا المحامي وسليل الأوساط الراقية والقصور فكانت تسكن إليه وصار ملاذها الذي تطمئن أنه موجود في الحياة. كان يلوح لها جارها كمال الفلسطيني طالب الطب ولكنها تقول ماهذا جانب الدكتور فريد ياخساره أنه زوج وعنده ولدان. فأخذت تفكر لا يجوز حيث غرست أمها داخلها أن المتزوج ليس لنا به شأن لأنه ملك لأخرى وإذا أخذناه نصير حرامية كإسلام التي تسببت في المشكلة بين أمها وأبيها وحين تقدم أحد أقارب صفاء ليتزوجها وهو متزوج قالت له ذات الكلام (لن تكون حرامية) وسمعته سارة واحترمت أمها لذلك الرفض. إذًا لا أمل أمام سارة إلا في طبيب آخر غير متزوج وخاصة مختار لم يصبر على سارة في رسوبها وكان يعاكس الفتيات ويقول لها أنت ابنة خالتي للزواج فقط. ففكرت في نفسها عندما يتزوجني سيفعل مثل أبي ويخونني مع أخرى وصرفت نظر نهائي عنه وخاصة أبيها حسم الأمر سابقا بأنه لن يزوجها أقارب أمها. التأمت جراح سارة وكان يشجعها خالها محيي الذي يعمل مدرسا بالكويت بالهدايا الكثيرة والنقود والأمل بالمستقبل فلا تحزن ولا تيأس، وكان الدكتور فريد حصن أمان تلجأ إليه كلما ضاقت عن المذاكرة فتجده سديدًا واسع الصدر يشعرها بتبني خفي حيث يقول: لم أنجب بنات وها أنت. كان في الرقي والرقة شكل حسن كامي الممثل الذي أحبته من أجله.

- نجحت وأرادت أن تدخل كلية الإعلام لتصير مذيعة أو صحفية وذهب بها مجموعها إلى إعلام الزقازيق الذي افتتح حديثًا ومجموعه أقل من إعلام القاهرة فذهبت إلى أبيها هذه المرة طواعية برغبتها لتحقق هدفها.

وهو أيضا علم أن لا عنوة بعد اليوم في رؤية أمها لقد صارت كبيرة وناضجة. دخلت الجامعة مستبشرة متوهجة بالنشاط والتفوق من جديد والأمل في شيء ما. سعد بها جدها الطيب الحنون الذي صار عجوزا لا يستطيع يصنع لها الساندوتش كالسابق بل هي التي تحضر له الطعام والماء والشاي وتعطيه الدواء. ومن باب الشفقة ترعى جدتها التي لا تحبها فقد صارت عجوزة أكثر من اللازم. زاملتها في حجرتها أختها حنان لأن البنات لأبيها صاروا أربعة وولدًا. كانت في حجرة أختها إنجي من الزوجة الثانية أختها سناء شقيقة حنان والولد فلايكفي أن تظل حجرتها لها بمفردها وخاصة أن هناك حجرة صالون وأخرى مكتب أبيها التي كانت تستخدمها في المذاكرة. كانت حنان عاقلة مؤدبة مثل سارة وإنجي خفيفة ذات دم خفيف وبشرة سمراء تشبه أباها لحد كبير وسناء بين حنان وإنجي في الشخصية وتهوى القراءة والثقافة مثل سارة ويتمتع الجميع بالذكاء والعيون الواعية من أبيهم والشخصية القوية التي يربي بناته عليها. كان على سارة دين إلى العذراء مريم حيث كانت تداوم على زيارتها بعد أول مرة ذهبت مع صديقتها ميرفت وأحبت هذا الجو القدسي الطاهر المليء بالشمع الذي يذكرها بسيدي مسعود بقرية السليمانية حيث كانت جدتها نعيمة هانم تشعل الشمع كلما نجح ابنها محيي أو شفي من حرارته وكانت وهي ترقيه تنذر الشمع وتأخذ سارة معها إليه وترفعها الخادمة إلى أعلى لكي توقد الشمع

من أجل خالها فتأثرت جدًّا بمنظر الشمع وتمنت لو تأخذ كل الشمع حتى إذا اضطرها الحال أن تتزوج سيدي مسعود وعندما علمت أمها ضحكت وقالت: أحضر لكي شمعًا بدون زواج لأنه متوفي يا سارة. وكانت أيضا ليكتمل ميزانها النفسي والديني تداوم أيضا على زيارة السيدة زينب أثناء أزمتها بالثانوية العامة فكانا يشعراها أنها ليست وحيدة وأن هناك قوى خفية من الله تؤنسها وتحفظها وتساعدها على تخطي الأزمة.

- سارة دافئة النظرة وديعة بنية العينين ذكية غضة غزيرة الأنوثة نحيلة الخصر ناهدة ذات سيقان مرمرية تهز الرجال ونظرهم رقيقة الكيان تحب برنامج الباليه الذي تقدمه مني جبر المذيعة كل أسبوع وتتابعه بشغف. مشاعرها كأوراق الورد تكتب الشعر، روحها تبعث رذاذًا من نور حديثها جذاب ممتع وذكي وخفيف الظل تشعر أنها يجب أن تكون كليوباترا أخرى التي أحبت شعبها كثيرا وعمدت إلى حمايته حتى لو تتزوج يوليوس قيصر وأحبت أنطونيو حتى الفناء أو شجرة الدر التي حمت البلاد بكتمان سر وفاة زوجها الذي أحبته بولاء. تزهو أنها مثل إليزابيث تيلور مع اختلاف العيون فكانت ترى أفلامها كثيرا بالسينما. كانت متأثرة بالجو السياسي من زوج خالتها الذي نجح عضوا بمجلس الشعب على مدى أربع دورات متتالية وهي تشارك بناته في الحملات الانتخابيه والنجاح وعزومات لأعضاء المجلس مما أدى بها أن تتمنى أن تصبح رئيسة جمهورية ولكن الشعب المصري لن يقبل رئيسة امرأة فرحلت الأمنية إلى الزواج برجل يصبح رئيسًا أو ابنًا يصبح رئيسًا وكانت تشترك بالمسابقات الثقافية بالكلية والمهرجانات الإعلامية فأتاحت لها الفرصة بمقابلة الشخصيات البارزة

بالمجتمع بهذه الكلية من وزراء وكبار الصحفيين والعمداء والإعلاميين. كانت بارزة بين الزملاء والأساتذة بالنشاط والكتابات والأحاديث التي تقوم بها وتنجح مع الأناقة التي تفيض سحرا خاصا. الكل يتمنى التودد إليها ويمنعهم أدبها وعقلها وشخصيتها القوية وأذيع أن والدها ميسور يؤجر حجرات مفروشة بشقق في عمارته للطالبات الإناث فقط فيذهبن إليها لهذا الغرض وأن لها نسب بعائلة السلحدار. وذات يوم جاء عضو أسرة بكلية الهندسة التي تجاور كليتها يدعو طلبة الإعلام إلى ندوة عن أضرار التدخين على الشباب كإعلاميين حيث سيتكلم في الندوة الدكتورعمر شركس الأستاذ بجامعة عين شمس عن كون التدخين مسببًا للسرطان فاكتظ المدرج بالطلبة من أنحاء الجامعة ولم تجد لها مكانًا فاضطرت أن تقف على جانب وكان يرهقها الكعب العالي وتمسك بنوتة وقلم لتكتب حديث الدكتورعمر شركس ثم تخرج منها بموضوع تكتبه بمجلة الحائط أو المجلة المشتركة التي تجمع المواهب الجديدة وتسمى مجلة (القافلة) وفتح باب المدرج ودخل عصام عضو أسرة الهندسة وبجانبه رجل مربع القامة أسود الشعر ذو شارب منمق وبدلة رمادية كأنه نبيل النبلاء خرج من دمس لتوه ملامحه دقيقة وجميلة وعيناه بنية ثاقبة لامعة وخرج منه سهم أبيض سريع ارتشق بقلبها وسقط قلبها أسفل قدميها وأصبحت لا تحملاها. جلس على المنصة بالمكان المخصص له وبجواره عصام وسكرتير الكلية ينظر يمينا وشمالا حتى يهدأ المدرج. فورا جاء لذاكرتها مشهد خالها عبد الفتاح على الجواد. إنه يشبهه في تقديم رأسه وكتفيه للأمام كأنه يقول لامرأة حنون وديعة: احتويني فأنا إليك. ومنظر الكتكوت الشركسي الذي وهبته لها جدتها في صغرها لكي ترعاه وتنعم

به لأنه ملكها وحدها. اضطرت أن تزاحم زميله وتجلس لأن قدميها خارت بها عن حملها ولكي تتمكن من كتابة الحديث. تكلم عصام يقدمه والجميع يصفق ثم ألقى كلمة عن الفتيات خلف الستائر وهن يدخن يقلدن الرجال فخورات بأنفسهن وكان عمر شركس يبتسم لهذا الكلام ثم عقب أن كلمة عصام جيدة وأنه ولد همام ثم بدأ يتكلم عن آخر الأبحاث في سبب السرطان ودور التدخين وأهمية الإقلاع عنه. بينما سارة تغوص فيه وفي القدر الذي وهبها هذا الرجل الذي تستطيع وتود أن تهبط عليه من تحليقها في الفضاء كأنها كانت تهيم في الفضاء تبحث عنه وأخيرا عرفته وأصبح كيانا ملموسا.

- أنهى كلمته وقام مسرعا هو وعصام جرت خلفه لكي تسأله أي سؤال عن الندوة لكي يراها ويعرفها هو الآخر ولكن دون جدوى فكانت خطوته سريعة جدًّا كأنه يريد اللحاق بشيء وهي يعوقها الكعب العالي. ابتأست ولم تكمل اليوم الدراسي وعادت إلى المنزل وقبعت بالسرير لتنام بأي طريقة. كانت مستمرة في زيارتها للدكتور فريد ولكنها لم تحدثه عن خفقان قلبها فهي لاتعرف أنه يعرف عمر شركس معرفة وطيدة ويعرف عائلته ويلح عليه أن يخطب إحدى الفتيات التي يعرف أبوها زميلاً له وعمر يرفض الارتباط بهذة بالذات وربما عموما ولكن الدكتور فريد يرى عمر ليس صغيرًا فلقد تم الثلاثين وأخيرا خطبها على مضد وتحت إلحاح أسرته أيضا. عمر يشعر أن شيئا ما تاه منه ويريد أن يجده فهو من أسرة ثرية عريقة والعروسة كذلك ولكن هذا لايكفي لروحه الحائرة.

- انتهى العام الدراسي وبدأ العام الجديد وفي نصف سنة ثالثة بالنسبة لسارة كان نشاط الكلية مهرجان ثقافي لمدة أسبوع كل يوم ندوة عن موضوع

حيوي مهم وكانت سارة طبعا ضمن فريق العمل المنتقى بعناية من رئيسة القسم التي أسندت لسارة موضوع ندوة المخدرات وتأثيرها النفسي على الشباب وأضرارها من كل جانب وانشغلت سارة بهذا الموضوع تريد نجاح ندوتها وخاصة أن التليفزيون يصور وسيذيع في برنامج (لقاء الشباب) لعبد المجيد خضر وعزمت الدكتور فريد ليتحدث عن الضرر النفسي وأحد رجال الدين ليتحدث عن الأثر من الناحية الدينية وأستاذ علم الاجتماع من أجل الناحية الاجتماعية والخلقية وعضو مجلس الشعب طارق السلحدار الذي يعرف أبوها ويقطن بفيلا جانبهم وكانت تتبادل القصص الأدبية مع زوجته راوية السلحدار التي لا تكبرها كثيرا فتأخذ منها قصص مصطفى أمين وتعطيها قصص يوسف السباعي الذي تحب سارة رومانسيته الشديدة. ونجحت الندوة والحمد لله وأشادت بها الدكتورة آمال رئيسة القسم وصور المذيع الندوة وصور مع الطلبة لبرنامج الشباب ومع سارة التي تحدثت عن عدم وجود سور للجامعة مما يجعل الفلاحين يمرون وسط الطلبة لاستقراب الطريق إلى مزارعهم بغنمهم، وعن عدم وجود مقاعد يجلس عليها الطلبة خارج المدرج أثناء الفرق بين المحاضرات الذي يصل ساعتين فيضطر الطلبة لاستعمال السيارات في الجلوس، واندهش المذيع وقال لها: لن أذيع هذا الكلام، ولكنه أذاعه بعد أسبوع وعلى أثره وضعت الجامعة مقاعد جلوس في الفناءات وأقامت سورًا. وفي يوم تالٍ كانت ندوة عن أثر التدخين والسرطان ومسؤول الندوة هو الزميل معتز الذي دعى أيضًا عمر شركس ليتحدث عن ذلك ولم تكن سارة تعلم لأنها كانت مشغولة بإعداد ندوتها عن المخدرات وفوجئت بذلك في اليوم التالي، فتدحرج قلبها إلى قدميها

من جديد ولم تتركها الدكتورة آمال تحضر الندوة فقد شغلتها بتوزيع أوراق ندوة التضامن الأفريقي بالمدرج الآخر وسارة لا تعرف كيف تعتذر فأخذت توزع الأوراق مسرعة لكي تلحق بندوة السرطان وتراه ولكنه أنهى الندوة بسرعة فسألت عليه حزينة متلهفة فأجابها البعض أنه بالقاعة يرد على بعض أسئلة الزملاء وحواراتهم الخاصة.

- جرت مسرعة إلى القاعة تخشى أن تقع من الكعب العالي وبلعت ريقها وهي تقف على الباب وهو يجلس على الفوتيه الجلد وقد أضاف سكسوكة سوداء لشاربه منمقة والطلبة حوله في القاعة كل بورق وقلم والبعض بمسجلات. بينما هو ينظر لهذا الكيان الجميل الذي بالباب من أسفل إلى أعلى وخلفها ضوء النهار ومنها ضوء آخر وقال: تفضلي اجلسي، فجلست مقابله على أريكة جلد في وسط زميلات وقفزت إلى الأمام حتى تظهر من وسطهن فظهرت ساقيها المرمريتين بوضوح أمام عينيه وتعلق بهما برهة واضطر جاهدا أن يدير رأسه عنها ليرد على سؤال أحد الطلبة وهو شارد كلما أنهى الإجابة على أحد يرمقها وهو يدير رأسه يمينا ويسارا وهي معلقة العينين والقلب به تفكر بأي سؤال تسأله إياه فيرد عليها خاصة وقالت: هل السرطان منتشر الآن أكثر أم الماضي؟ فوقع في عينيها وخرج منه كيان أبيض هلامي استقر في كيانها وأحست نفس الشيء خرج منها كيان أبيض هلامي نفذ من عينيه الثاقبة البنية المركزة اللامعة الذكية إلى داخله واستقر في روحه وروحها أيضا نفذت منه إليها لتستقر داخلها. وكأن روحها نفذت منها إليه لتدخل من عينيه وتستقر داخله. وأثناء هذه النظرة العميقة المركزة بينهما التي لم يستطيعا مقاومتها أو يجذب كل منهما عينيه عن الآخر ومن

الآخر رأته من الداخل كالملاك الأبيض الساحر ورأت روحه الأثيرية الفضية من خلال نافذة عيونه وكذلك هو رأى نفس الشيء فيها وأحسا أنهما وحدهما وتخلو القاعة من الجميع ولا أحد مع روحهما سواهما سارة وعمر فقط فانجذب بمغناطيس إليها وهب واقفا يقدم عليها ليقبلها فأمسك به الطلبة وأجلسوه على مقعده: لايجوز هذا يادكتور. وهو يقول: آسف آسف لا أدري كيف حدث هذا ولم أشعر بكم جميعا. ويضع رأسه ووجهه في كفيه وهي الأخرى وضعت وجهها في كفيها خجلا فقال: أريدك عندي في موضوع في معهد السرطان لكي أجيب على سؤالك وحين إذن لمحت الدبلة في إصبعه وتلعثمت أكثر وأكثر وهو يسأل ما اسمها؟ ما سنها؟ من أين هي؟ ابنة من؟ والطلبة تجيب عنها ووجدها زميله أشرف ترتجف فقال لها هو وعبير: اذهبي يا سارة وعودي لمنزلك الآن. وهي خجلة ومتألمة من منظر الدبلة فسحبت نفسها تجرها وخرجت ببطء وهو ينظر إليها من خلفها ويركز في جسدها الجميل وخصرها النحيل وفستانها العنابي الذي يحب لونه ويقول: أريد أن أتزوجها والطلبة ترد: أنت خاطب ولو أن عندك حق فهي فتاة مثالية، ويشكرون فيها له وفي محاسنها الشخصية والخلقية والأسرية وهي قد عادت إلى المنزل وقبعت في السرير لتنسى منظر الدبلة المؤلم وتبكي.

- ذهب بعض الطلبة إليه بالقاهرة في معهد السرطان فتحدث عنها لكي يرسلوها إليه لأنه ينوي الزواج بها ولكن يريد بعض التفاهم وبلغوها الطلبة برغبة الدكتور عمر ولكنها أبت وهي حزينة على ضياع ضالتها المنشودة وضالة روحها بسبب الدبلة. وحزن عمر حزنا شديدا لدرجة التخبط في عمله

وفي حياته وسأمت نفسه واكتأبت وترك خطيبته. حاولت سارة أن تفاتح أباها بشخص يريد الزواج بها وترك خطيبته من أجلها فرفض الأب المبدأ لأنه ترك خطيبته ويمكن فعل ذلك معها فعرقل لها التفكير والتصرف وكانت قد عزمت الدكتور فريد على الغداء ليتعرف على أبيها ووعدها بعد أسبوعين سيأتي لمناقشة رسالة ماجستير وسيلبي الدعوه لتناول الغداء مع أبيها وفعلا صدق وعده.

- اشتركت في صنع الغداء مع زوجة أبيها وعمتها وبالصدفة جاء من قرية السليمانية شخصان لأبيها يسمعان عن كرمه ومساعداته الكثيرة ومأدبة الطعام المستمرة عنده لأي زائر غريب أو قريب منهما شخص محامي جاء من قبل وشخص طبيب وهو الذي يريد المساعدة لكي يتوسط له أبوها بكثرة اتصالاته وعلاقاته الناجحة النافعة يتوسط بجامعة الزقازيق ليجري دراسات عليا بها حيث تقديره أقل من المطلوب ويريد واسطة فعرف والدها هذا الطبيب الريفي الخجول الشاب بالدكتور فريد بعد تناول الغداء إذا استطاع مساعدته يكن الأب شاكرا وفعلا أخرج الدكتور فريد كارتًا إلى دكتور بجامعة الزقازيق كان زميله ليقوم بعمل اللازم وفرح الطبيب الشاب أحمد الجحش لتلبية طلبه وأخذ يتردد على الأستاذ محمود حتى تتم المهمة ويمكث عنده ويتودد إليهم ويتناول الغداء معهم، وذات مرة أمطرت السماء والقرية، لاينفع العودة إليها في ذلك الجو فاضطر إلى المبيت واستمر الحال هكذا شهرين وسارة على طبيعتها جدًّا والطبيب معجب بها ورأسه تدور كلما رآها أو تفوهت بحديث فطلبها من أبيها وعلى الفور وافق الأب لأنه معجب بخجله وأدبه وله مستقبل مشرق وكبير وخطبت سارة لهذا الطبيب ولبست دبلته وأخذته وزارت الدكتور فريد

فبارك لهما وأثنى كثيرا على سارة وبدأت رحلة أخرى مع أحمد الجحش. الشاب الريفي البسيط من عائلة متواضعه لايملك سوى مستقبله وكان في طول أبيها ولكنه أبيض البشرة وقررت سارة أن تعيش المستقبل وتقف بجانبه حتى يبني نفسه ويصعدا معا فهذا دور الفتاة الأصيلة التي من أصل طيب وكان أبوها دائما يذلل أي صفات تلاحظها سارة على هذا الشاب ولا تعجبها فكان يلتمس له العذر وأنه سيتحسن بتغيير الظروف والمستقبل سيكون أفضل وأن عليها دورًا في تغييره ولم تجد سارة بديلاً مادامت ضالة روحها ليست من حقها الآن بل من حق صاحبة الدبلة ورضخت لتهيئات أبيها عن المستقبل مع هذا الشاب وأنهت السنة الرابعة واستعدت نفسيا للزواج ولكن حالته المادية ضيقة لإيجاد شقة مناسبة في المستوى فهي التي تحلم بشقة على النيل لتفتح البلكون كل صباح وترى الماء مثلما كانت ترى البحر الصغير عند جدتها كل صباح لتتناول الشاي والإفطار على النيل كل يوم فلابد من سفر خطيبها إلى بلد عربي ليحقق هذا الحلم وفعلا سافر وطلبها تذهب إليه لتؤنسه وسافرت وأقاما أسبوع العسل في فندق على البحر بالسعودية. وبدأت رحلة الادخار وهي تكابد نفسها في أي رغبة أو ملابس كما تعودت أو مجوهرات فهي مغرية جدًّا هناك وكان السكن مع تجمع للأطباء الذين بالمستشفى فكانت صحبة جيدة وجميلة مع بعض الصديقات والجارات وأنجبت مسرعة ثلاثة زهور متلاحقة وبدأ أحمد النمردة بعد أن ملك المال وأذاقها أشياء من العذاب. البخل والمعاملة السيئة والإهانة والنقد اللاذعوإذا أرادت كتابة شعر يمزقه لها ويأمرها بعنف أن تمسح وتكنس وأصبح لسانه سليطًا مؤذيًا الألفاظ فكرت في الطلاق.

- ولكن تنظر للزهور الثلاث وتفكر إنها وليدة هذه التجربة القاسية وهم ثلاثة وهي واحدة فلابد أن تضحي بنفسها من أجلهم حتى يظلوا بين أبيهم وأمهم. - انتهت مدة الإمارات ولم تستطيع نقودهم على شراء شقة على النيل ولكن شقة معقولة في مكان راق فوافقت ليس أمامها خيار. ذهبت به للدكتور فريد ليبحث له عن عمل بالقاهرة واستجاب الدكتور فريد بإحدى مستشفيات أصدقائه. وظل أحمد يواصل كم العُقد التي بداخله بممارستها عليها ومحاولة إذلالها وإهانتها حتى ضجر الأولاد من هذا الإرهاق العصبي المستمر بالنهر والسب والبخل والمعاملة السيئة في كل شيء إذا ترك النور مفتوح تصير جريمة للعقاب والشجار إذا كسر كوب فهذه جريمة للإهانة وهو لا يكل ولا ييأس من أسلوبه اللعين الدنيء. ولم يكن أهله في قريتهم أفضل منه في المعاملة لاعتقادهم أنها تتعالى عليهم وترى نفسها أفضل منهم بعائلاتها وتربيتها وأنها أخذته منهم وأسكنته القاهرة بعد أن كان متفقًا مع والده يتزوج ويسكن معه بالقرية ولكن هذا الاتفاق كان قبل رؤيتها وطلبها للزواج وهي طبعا لم توافق على هذا العرض فوافقها على السفر ثم أخذ شقة بالقاهرة فكانت اللعنة عليها منهم جميعا فالبعض يريده معهم والبعض يريد الخير الذي حققه من الإمارات ليستمتع به ولا تأخذه وحدها وأولادها فهكذا تفكر الطبقة المتواضعة وبالذات في الريف وخاصة أن المرأة لديهم لابد أن تكون مقهورة ولا قيمة لها ولا رأي وهو ممزق بين طبقته وبين تعليمه وأثره عليه وبينها فيخرج هذا التمزق في صورة سب ولعن ونهر وإهانة حتى حرقت أعصابها ونفسيتها وأعصاب الأولاد أيضا من ذلك الشجار المستمر على أي شيء مهم أو غير مهم، فذهبت للدكتور فريد تشكو حالها وأثناء

الحديث ذكرت اسم عمر شركس الذي تمنته من كل قلبها فتعجب الدكتور فريد فهي الفتاة التي أحبها عمر شركس وترك خطيبته من أجلها حين قصت له لقاء القاعة وماحدث فيها قال: هذا بالضبط ما قصه عمر عن فتاته التي أحبها من كل قلبه واسمها سارة من الزقازيق أهي أنت يا ساره؟ أهي أنت وأنا لا أعلم لو كنت أعلم ما أجبرته على العودة لخطيبته وإتمام الزواج بها فهو يقول الأحداث التي وصفتيها بالضبط ونفس الشعور ونفس موقفه لم يشعر بوجود الطلبة وأراد أن يقبّلها وإلى الآن يحبها ويحتفظ بصورتها. قالت أنا لم أعطه صورة قال: لقد تصورتم الطلبة جميعا وأنت معهم معه؟ أجابت: فعلا حدث أهو أخذ الصورة الجماعية وينظر إليها مثلي؟ الدكتور فريد: كيف مثلك؟ سارة: أنا لم أفارق صورته التي لقطت له وهو يلقي كلمته بجانب رئيس الجامعة فأخذت الصورة وأحتفظ بها إلى الآن أنظرها من آن لآخر لأهدأ من عناء زوجي وحياته. الدكتور فريد: وهو يفعل نفس الشيء في صورتك وعندما خانته زوجته وطلقها بعد معاناه زوجية أيضا. سارة: أهو مطلق الآن؟ وهل عنده أولاد؟ فريد: عنده ولدان. سارة: ياحسرتي القدر مهده لي مرة أخرى يارب يارب أرجوك اجمعني به على خير. وسمع الله النداء ومرض أحمد مرضًا شديدًا انتهى بوفاته. فأخذت تفكر كيف يكون اللقاء بينهما وكيف يكون القدر رحيمًا بهما وأنه آن الأوان لتهبط الحمامة من تحليقها بالفضاء على سماء مبتسمة.

- بات طيفه يلاحقها في كل مكان وفي وجوه الرجال تلمحه وتراه فهي رأته قريبا على شاشة التلفاز فهو طبيب شهير يستضيفونه كثيرا وقد حلق شاربه وسكسوكته وتلون شعره بالبياض فقد مر خمسة وعشرون عاما على لقائهما

الروحي الذي تلاقت فيه أرواحهما وأخذ كل منهما روح الآخر واختفى فكانت درجة إحساس عالية تفوق الوصف والتأثير. تنام تفكر فيه تستيقظ تفكر فيه حضرت عقد قران ابنة نشأت ابن خالتها زهراء مع زهوره الثلاث فكانت تبحث عنه في وجوه المعازيم فربما ولأي سبب سيكون موجودًا. ذهبت تبارك لابنة سهى ابنة عمتها على الوضع وتمنت أن يكون صديق هاني زوج سهى وأتي ليبارك أيضا.

- كان هو ينتظر كما قالت للدكتور فريد مادام لازال يحب تلك الفتاة ذات الحدث الروحي الطالبة بإعلام الزقازيق والتي هي أنا سأذهب أنا إليه إن شاء الله. وذات يوم جهزت صورته التي بحوزتها وصورتها مع الدكتورة آمال التي لقطت وقت المهرجان الثقافي وضعتها في الحقيبة التي تخرج بها ربما قابلته بالطريق ولم يعرفها فقد كبرت وتحجبت، مؤكد الخمسة وعشرون عاما لهم بصماتهم عليها. وعلمت أن ابن هيفاء ابنة خالتها أميرة الطالب بهندسة القاهرة دخل مستشفى الطلبة لإجراء جراحة وكانت المستشفى استضافت مرضى معهد السرطان بجزء فيها لأن مكانهم تهدم من السيول.

- كان عمر يتابع حالة مريض له بالسرطان وعلى باب المستشفى وقفت أمام النجوم التي تتلألأ في عينيه ووجهه النبيل وتسمرت ساقاها على الأرض. لأول وهلة احتار وقال: لا مؤاخذة وأراد ينصرف بعيدا ثم أعاد النظر في منظر هذه المذهولة فارغة الفاه ودقق بملامح الوجه التي مثل الصورة ونظرة العينين التي تنفذ فيه وتركز وعكص حاجبيه: ليس معقولاً (هكذا تفوه) ومال بجذعه إلى الأمام وهي تقف بمنتصفه ومد يده يلتقط يدها: أأنت؟ أنا لاأصدق. ثم هدأ

الاثنان وانفرجت أساريرهما وسارت معه إلى حيث يسير. انطلقا بالسيارة وبعد هدوء الانفعال قال: تأخرت. هي: ظروف ولكني نادمة. هو: تعذبت كثيرا. هي: وأنا أيضا. هو: أنجلس في مكان؟ هي: أكيد. وطلبت شايًا بدون سكر لأنها تقوم بعمل رجيم وطلب قهوة بدون سكر لأنه مريض سكر. هي: وحشتني ولو أنك كنت معي من برامج التلفاز التي أرى منها تطورك عن الصورة التي معي. أما أنا الآن أرملة وعندي ثلاثة أبناء أكبرهم تخرج واثنتان بالجامعة ولازلت أحسك أكثر مما تتصور. هو: عندي ولدان ولا زلت أتمناك أكثر مما تتصورين. هي: لا يبقى إلا نخبر أولادنا ونلحق باقي العمر معا وننقذ باقيه من العذاب. هو: أنا ليس عندي مشكلة من أي نوع.

هي: ولا أنا إن شاء الله. تقابلا ثانية ليتعارف الأبناء فزهورها الثلاث رأوا بأنفسهم عذابها مع أبيهم وأن لها حق في السعادة. وولداه كانا يطلقان له الحرية فهو مقدس لديهما. وعقد القران بحضور أمها صفاء والأبناء الخمسة وأخواتها وخاصة أيمن أخيها اعتبر نفسه ولي أمرها بها أنه في الخامسة والثلاثين من عمره ويحبها ويحترمها فهي أخته الكبيرة. سافرا فرنسا أسبوعًا كان في الجنة وسكنت الأرواح واندمجا معا في كل لفظ وحركة وعادا من أجل الأبناء إلى جنة الزوجية. اعتبرت نفسها أمًا لخمسة أبناء وكذلك كان أبًا لخمسة أبناء يزهو به الجميع ويحترمه ويسعد بوجوده إذا جاء.

- بالفعل تفتقده إذا خرج لا يتعكر صفوها بوجوده مثل أحمد وإذا ارتفعت في موقف يشيد بها ويسعد لأنه يعتبر ذلك يخصه ليس كأحمد يغار ويتعمد أن يسحقها. إذا كتبت أشعارها شجعها ومدحها. إذا قدمت عطاء

يبادلها عطاء أكثر لأنه الرجل. ليس كأحمد يأخذ بأنانية وجحود أن هذا لايكفي.
إذا قدمت تنازلاً قدره وشكره وعوضها. فأحمد كان يأخذه كحق مكتسب ولا يريدها أن تستعيد حقها. إذا توددت إليه اطمأن وسعد وأحاطها بالحنان. أحمد كان يهتز ويشك وينهرها حتى تغير الموقف كأن مزاجه لاينسجم إلا في التعصب واللعن. إذا طلبت منه شيئًا يجزل العطاء ويضاعفه فهو كريم الطبع. أحمد كان بخيلاً يرفض باستمرار حتى إذا كان الطلب ورقة لها ولأبنائها الذين هم أبناؤه.
فلم تجد لها سبيلاً إلا راحته والدأب على إسعاده فكان باختصار رجل أحلامها فارس الجواد الذهبي الذي ادخره الزمان لها يشعرها بالأمان والإشباع ليس كأحمد كان خيال المآتة. وعاش النبيلان مسك الختام يرعون أبناءهم الخمسة.
وكان مسك الختام وإنما الأعمال بخواتيمها.

# ثورة الجرحى

إلى روح أمي الغالية التي تباركني حتى الآن

وإلى مصر الغالية الواعدة بالارتقاء والحنان

وإلى أولادي كل دعاء وسلام

سامية موسى

تصرخ الفتيات حول صديقة لهن أخرجنها من مسبح نادي المعادي كادت تغرق. دكتور دكتور بسرعة هانيا مغمى عليها. فيلبي النداء طبيب جاء ليحضر مؤتمرًا بالنادي هو الدكتور وهدان الأسد في سن الأربعين فقام بتنفس صناعي لهانيا وإخراج المياه التي ابتلعتها ففتحت عيون المها وخرجت منها نظرة جارحة من أسفل رموشها الكثيفة كأن النظرة أصابت قلبه فسألها باهتمام: ماذا حدث؟

أجابت: شعرت بدوار ولم أتمالك نفسي. سأل: هل أفطرت اليوم؟ أجابت: لا أنا أعمل رجيم.

ابتسم مرددًا هذا هو السبب فليس بك شيء.

وأود تعدي عليَّ بالعيادة في المساء فهي بجوار النادي وهذا الكارت بتاعي وانصرف ليحضر المؤتمر وسأل الجرسون في طريقه: من هذه؟ اجاب الجرسون: إنها هانيا حفيدة فهمي بك العتيبي حفيد البشوات وأبوها استشهد في حرب ٦٧ وتركها لجدها فقام بتدليلها ليعوضها فقدان أبيها ثم أمها التي تركتها وتزوجت وهاجرت مع زوجها.

فهانيا ذات السابعة عشرة جميلة مدللة تتعثر في التعليم، تحلم بالزواج والفستان الأبيض، استهواها الدكتور وهدان بسوالفه البيضاء وكأنها سوالف أبيها الشهيد الذي تحمل صورته دائما. في المساء ارتدت أجمل ثيابها التي تظهر أنوثتها وجمالها وذهبت إلى العيادة لتبدأ معه ما تنوي عليه في سريرتها. استقبلها بشوق ولكنه شخصية جادة محترمة صعيدي الأصل. وأثناء كشفه عليها تعلقت برقبته وتدللت في الكلام: ماذا عندي يادكتور؟ أنا خائفة. قال بحزم وهو ينزل ذراعيها من حول رقبته: أنت محتاجة فقط لفيتامينات وتغذية. قالت: أنا أعمل رجيم حتى أحافظ على جسمى الجميل. تبسم وقال: سأعطيكي نظامًا غذائيًا متكاملاً يحافظ على جسمك وعلى صحتك بنفس الوقت. وضغط الجرس: أشوفك بعد أسبوعين لأطمئن عليك. انصرفت هانيا وهي متبرمة فكانت تصبو لشيء لم يتحقق.

- استقبلها جدها بلهفة وعواطف وربت على كتفها: ماذا قال الدكتور ياحبيبتي هل فيكِ مكروه؟ اطمئن ياجدي أنا بخير فقط ضعف من الرجيم وسآكل لك الطعام كله. ضحك الجد: كلي ياحبيبتي كما تشائين.

- رن جرس الفيلا وفتح السفرجي فوجد مدبولي الذي يأتي باللبن بالصباح ومعه شابة ترتدي جلبابًا وقال لفهمي بيك: أنا أقصدك في خدمة يا بيك هذه عروستي التي أتيت بها من البلد وأريد أشغلها عندكم لأنكم كاملين وأمان. ودخلت سيدة بهو الفيلا خجلة تغط في جلبابها ترى الدنيا حولها واسعة جديدة تنظر للست هانيا متمنية تأخذ فستانها. رحّب الجد ورحبت هانيا معلقة: الفيلا ينقصها منظفه دؤوب فعلا.

- تصعد هانيا حجرتها، وتحاول إدارة قرص التليفون بنمرة الدكتور وهدان بعد أن علمت أن له حجرة بالعيادة يقيم بها لأنه ليس من القاهرة.

فشعراته البيضاء تطارد ذاكرتها. وتنهدت في السماعة وهمست: أنا هانيا هل نسيتني؟ قال بحزم لين: أحدث شيء؟ قالت: نعم أفتقدك.

قال: بسرعة كده!. قالت: نعم ولكنه ليس بسرعة فأنا أفتقدك منذ خمسة عشرة عاما منذ تركني والدي واستشهد.

رد بتأثر: ياهانيا أنا أبلغ الأربعين وأنت صغيرة وكان يمكن أنجبك فتعقلي. ردت بنعومة: تصبح على خير لقد أفرغت ما بداخلي وأتمنى تستوعبني ولا تزهق مني. أغلق السماعة وأخذ يفكر في هذه الزهرة الجميلة اليانعة ثم طرد الفكرة. فليس هذا معقولاً. لقد سرقته الأيام دون الزواج، حقق الشهرة والعلم والمال. أتأتي الزوجة والأولاد مع فتاة في هذا السن الصغيرة. إنه تذوق كرزتاها أثناء التنفس الصناعي وراقت له كثيرا ولكن. . . يقنع نفسه لا يجوز. ولكنها لم تدع له فرصة. ففي اليوم التالي ذهبت وجلست على المكتب مرددة: جئت

أطلب يدك. هل تقبلني؟. اقترب منها يقول: هانيا صغيرتي أنا. . . . وقبل أن يكمل وضعت يدها على شفاهه مرددة الرسول عليه الصلاة والسلام كان يكبر السيدة عائشة بأكثر من ذلك. وجد نفسه يلثم يدها ثم يقع في كرزتاها ثم يقول: سأحضر لجدك غدا لأطلب يدك.

- رحب الجد بهذا الرجل العاقل المتزن الرصين الأمان لحفيدته ذو المركز المرموق واشترط أن يقطنا معه بالفيلا فهو وحيد وليس له غيرها بعد استشهاد ابنه. وافق وهدان وعقد القران وانتهى شهر العسل بأوروبا. فطلب منها تنجب له ولدا جميلا يحمل اسم عائلة الأسد. تدللت وقالت: إنها تريد الاستمتاع بجسمها وشبابها بالفسح معه لمدة سنة على الأقل. فكان دمث الخلق يحتويها بحنان ورفق وافق بابتسامة. بعد مرور سنتين أنجبت له كريم وهدان الأسد ،يشبهه كثيرا. فرح به واعتز به كثيرا. صادقه منذ أول سنة فكان يحكي له كأنه يفهم ويمتن إلى الله في الصلاة لهذه النعمة. وكانت سيدة الخادمة أنجبت طفلها غانم فأجزل لها العطاء محتسبا هذا زكاة كريم ابنه حتى يباركه الله.

- توفي الجد تاركًا لهانيا ثلاث عمارات بمصر الجديدة والفيلا بالمعادي وعاش وهدان يحتضن أسرته بحكمة وخاصة بعد مجيء ابنته لينا التي تصغر كريم بثلاث سنوات وكثيرا، كان يجلس بالكرسي بجوار المدفأة يجذب أطراف الحديث والمداعبة مع طفليه وزوجته يعرف أخبارهم ثم يذهب عيادته شاكرا الله.

- مرت عشرون عاما، صار كريم شابا يانعا ذا شعر أسود ناعم وعينين سوداوين ثاقبتين وبشرة بيضاء والتحق بكلية الطب. لينا شابة حسناء بالثانوي دلوعة بابا وماما. هانيا في أوج نضجها وجمالها وجسمها الأبيض اللدن ونظرتها

الجارحة تزداد توهجًا وبدأ يؤرقها سن زوجها. لقد تشبعت من الأبوة والحنان وأخذت تقارن بينها وبين صديقتها جابي بالنادي المتزوجة من مهندس إسكندر الذي يكبرها بأربع سنوات، فبينهما سلوكيات شبابية كثيرة تغار منها هانيا. حين يخطف الطعام من جابي ويجري أثناء قضائهم المصيف معا بالمعمورة، حين يقبلها على الشاطئ دون خجل. حين يركد خلفها يمازحها وكان يحمل ابنه أشرف الذي بعمر كريم وهو يهلل ممازحا زوجته. فافتقدت هانيا هذه الجزئيات رويدا رويدا. والآن هرم وهدان وبدأ المرض يتسلل في جسده مع ضغوط العمل. فصارت وحيدة مع نفسها ولكنها تنظر لابنيها باغتباط.

- توفي أحد سكان عمارة من أملاكها وتسلمت الشقة وفرحت بها. فرشتها بألوان زاهية لكي يذهبوا إليها من الحين للحين كنوع من التغيير.

قال كريم: إنها ستكون عيادتي بالمستقبل إن شاء الله. قالت لينا: سأتزوج بها. ردت هانيا بحسم: سأستجم بها.

بالنسبة لسيدة، مرض مدبولي زوجها وتوقف عن توزيع اللبن فأرادت تعمل أكثر لتصرف على أبنائها الخمسة فهي لا تحمل هم غانم الذي يتكفله الدكتور وهدان وخاصة بدخوله الطب أيضا ولكن هناك بنتان وولدان تعلمهم بالمدارس فطلبت من الست هانيا تساعدها ببيوت ناس لتنظفها فتذكرت هانيا حكمت هانم رئيسة الجمعية الخيرية بالنادي فكانت تسأل عن منظفة للمنزل. فحكمت هانم كانت متزوجة من خالد بك الذي كان يملك مائة فدان وظل يصرف على النزه بأوروبا ثم على مرضه حتى ترك عشرين فدانًا فقط ميراثًا

لحكمت وهو كان عقيماً. تقطن حكمت بعمارة على النيل بالدور الثاني ويقطن أخوها المهندس جمال سليم بالدور الرابع المتزوج من ابنة عمه نعمت التي وصل تعليمها إلى الإعدادية فقط ولكن أباه صمم أن يزوجه إياها لكي تخدمه في مرضه ولأنه وعد أخاه بذلك منذ صغرها.

نعمت متوسطة الجمال، كان جمال ابن عمها حلم حياتها وانتقالها من القرية إلى القاهرة حلم آخر. وسمعت من الشيخة الكفيفة التي تعلم القرآن بالقرية أن الزواج رزق مثل أي شيء ومن ترزق بزواجة كويسة تظل تحمد الله وتشكره. فكانت حياتها مع جمال حمدًا وشكرًا باستمرار بالتحمل لأوامر جمال وطلباته في مواعيدها بالضبط. إنكار ذاتها تماما. خدمة زوج أخته خالد بك في مرضه مع خدمة عمها وخدمة أخته ذاتها مع تمتمتها الحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله وماشاء الله وذكر الله باستمرار. وتربي بناتها الأربع بتفاني وعطاء وتشعر مع نفسها بالتقصير لأنها لم تنجب ولدا لجمال فتزداد بالتفاني والعطاء وخدمة أخت جمال المتغطرسة معها التي تعايرها أن جمال مهندس شاب وسيم ليس عقيماً وهي فلاحة بالإعدادية. لكن حكمت لا تبخل على البنات الأربع بشيء.

- ذهبت هانيا بسيدة لحكمت هانم وقالت: فرصة سعيدة أن نتزاور يا حكمت هانم. وكانت سمر الابنة الكبرى لجمال عند عمتها فقدمتها: ابنة أخي الكبرى ثانية ثانوي بمدرسة (. . . . ) قالت هانيا: إنها مع ابنتي لينا هل تعرفينها يا سمر؟ أجابت: نعم لينا الأسد أعرفها. فعزمتها هانيا على عيد ميلاد ليتا بعد يومين. ذهبت سمر بهديتها ودار نقاش بين هانيا وصديقتين للينا بعد إطفاء

الشمع على فيلم النهر الخالد الذي يشاهده كريم بالتلفاز بعيدا عن الضوضاء.
هانيا: أنا أحب هذا الفيلم كثيرا. لينا: فاتن حمامة معزورة ومسكينة.

سمر: إنها زوجة خائنة برغم أني أحب فاتن حمامة ولكن لا أحب الزوجة الخائنة وكبر زوجها وطريقته ليس مبررًا أن تخونه. قال كريم وهو بعيد بمكانه: هل أنت نصف إلهة؟ أنت الوحيدة بسنك الصغير التي تقول ذلك الرأي. ردت سمر: أنا مقتنعه بما أقول. أنهت هانيا الحديث: أيود أحد المزيد من التورتة؟

- تعمقت علاقة لينا بسمر في المدرسة فاشتركا بالتفوق العلمي والرقة والجمال كل بصفاتها. فلينا ممشوقة دقيقة الملامح شعرها بني منسدل. وسمر تشبه هانيا في الجسم ولكنها ذات وجه بريء وجدائل ذهبية وعينين رماديتين كعيون أبيها.

- كريم يوصل لينا للمدرسة وبدأ يترقب سمر وأباها يوصلها أيضا للمدرسة بسيارته المرسيدس مشدود لسمر يفكر أن مثلها ينقص أسرته.

- ذات يوم عرض وهدان السفر على أسرته إلى قنا ليزور أخته الكبرى ويبيع أرضه ليشتري أرضًا بضواحى القاهرة. قالت هانيا: بل نشترى شاليه بالساحل. فذهب معه كريم ولينا أما هانيا ففضلت قبول عزومة حكمت هانم التي علمت بنية السفر هذه قبل يومين من هانيا فعزمتها على الغداء وقضاء اليوم معها.

- أخت وهدان أسرتها متوسطة الحال ابنها الكبير متزوج ويعيش معها، تعلق على الحائط صورة أخيها وهدان وبجوارها بندقية. فسأل كريم عن ذلك.

أجابت العمة: إنها بندقية أبيك، كان يصطاد بها ثعالب من الجبل. مد يده إليها ناظرا لأبيه: سآخذها يا بابا. لينا تداعب أحفاد عمتها مع ضجر من الوقت الممل، وتريد العودة للقاهرة. زوجة ابن العمة تغمغم وجهها وتدعوهم للغداء لحين يأتي مشتري الأرض. تتناول لينا الغداء متبرمة فكل شيء لا يروق لها. ثم ينتهي اليوم بفارغ الصبر ويعودون بالمال والبندقية. كريم يفكر: هل كان من الممكن أن نعيش هنا ويصير لي شارب غليظ مثل شارب ابن عمتي وأتزوج بزوجه مثل زوجته تغمغم وجهها حتى لا يراها أحد وتلبس جلبابًا كهذا. إنه جائز جدا. فأين ملابس أمي العارية من ملابس عمتي. فالحياة متفاوتة والأقدار غريبة لو لم يذهب أبي للعمل بالقاهرة لتغير مصيرى أنا ولينا.

أما هانيا فذهبت لحكمت هانم وفتح لها الباب المهندس جمال الوسيم ذو العيون الرمادية والكاريزما القويه جدًّا والجاذبية الشديدة فتراجعت للخلف فأسرع قائلا: صح إنها شقة حكمت أختي تفضلي. إن حكمت عرضت عليَّ تناول الغداء معكما هل يزعجك ذلك؟ ردت هانيا ووجهها سعيد: لا. لا. أبدا. راق جمال لهانيا وخاصة أنه بسن قريب منها يكبرها بحوالي ثلاث أو أربع سنوات مثل إسكندر وجابي صديقتها وله تأثير قوي يجذبها إليه. وراقت هانيا لجمال. لقد حرم الجمال في زوجته وهانيا ذات مواصفات عالية الجمال.

بادرها جمال: أنا وصلت سمر ابنتي لعيد ميلاد لينا ابنتك وأراها وأخيها يوصلها للمدرسه. قالت: هل رأيت زوجي؟. جمال: إنه مشهور جدًّا ولكني لم أره. هانيا: إن شاء الله تظل معاق ولا تحتاجه. تبسم جمال شاكرا.

على المائدة قدم لها طبق الشركسيه فخورا أن حكمت تجيد عمل الشركسية: وأنا أحبها هل تحبيها؟. هانيا: أحببتها الآن أكثر.

تدخلت حكمت: لا تضيعا الوقت وتتركا باقي الأصناف، إن نعمت زوجة أخي صنعت ذاك وذاك فلابد أن تذوقي يا هانيا.

هانيا: ولماذا لم تأتي للغداء. جمال: نعمت لا تترك البيت والبنات وكفاني نعمت فوق. ضحكت هانيا فهي بدون منافس إذن.

حكمت: إن سيدة تنظف بيت جمال أخي أيضا فهي شاطرة وغلبانة.

هانيا: شاطرة صحيح لكن غلبانة أشك. جمال: في هذه الحالات المهم الشطارة والأمانة.

هانيا بسؤال ماكر: والباش مهندس شاطر؟ قال: جدًّا جربيني تبني عمارة؟ قالت أبني. . ثم أرادت الانصراف فعرضت حكمت على جمال أن يوصلها. كانا منبهجين في الطريق وقال: أنا سعيد جدًّا بمعرفتك. أدارت رأسها تجاهه أنا أسعد منك. أسرها في نفسه ونظر للطريق.

– عاد جمال لنعمت مختلف المشاعر والأحاسيس مغتبط الخيال بهانيا. عابس النظر بنعمت متذكرًا نقص جمالها ونقص الولد.

نعمت تبتلع كل شيء من جمال لتحمي بيتها وبناتها هامسة لنفسها: مادام ينام في سريرى ليلا كل يوم فهو لي ولبيتي.

تتشاجر بنتان لنعمت على بلوزة، كل منهما تريد ارتداءها جيلان ومروة. يضجر جمال من الشجار وتثور أعصابه وينهرهما بشده ويتمادى بالثورة ولكن

نعمت بحكمتها تنهي الموقف: أبوكما يريد النوم وليس وقته لهذه البلوزه وسأشترى أخرى مثلها.

- تفكر نعمت: ماذا بجمال؟ ثم تدخل عليه الحجرة تربت على كتفه وهو بالسرير وتحكم عليه الغطاء قائلة: لا تفور دمك يا ابن عمي لا حول ولا قوة إلا بالله فيهدأ ويغط في النوم.

- تشكو سيدة لنعمت وهي تنظف المنزل من طابور العيش الذي يعيد أحد أبنائها دائما بجرح أو كدمة من أجل الحصول على الرغيف الذي صغر حجمه ومن ارتفاع الأسعار. بينما تشكر في زوج الست هانيا أنه يتكفل ابنها الكبير بكلية الطب وتشكر أخلاقه ودماثته.

- نعمت: لقد سمعت عن هذا الدكتور كثيرا.

سيدة: طيب يعالج أولادي مجانا ويعطينا الدواء فكلما نظرت لجيراني كيف يتعذبون بمستشفى الحكومه أشكر الله لمساعدة الدكتور وهدان بمعالجة أولادي كلما تعرضوا لوعكه صحية.

نعمت: وأنبوبة البوتاجاز التي وصل سعرها ثلاثين جنيهًا ونحن نستهلك ثلاث أنابيب بالشهر.

سيدة: نحن نأخذها بنزيف الدم ياستي.

- نعمت: الله يكون في عونك ياسيده ثم تقول إفرشي حجرة المكتب بتاعة جمال بيه واقفليها. . يعرض كريم على سمر ولينا شرح الكيمياء أو الفيزياء أثناء مذاكرتهما معا حتى تدخلا كلية الطب معه فتقول سمر: أمنية ماما أدخل

كلية الطب وسأدخلها إن شاء الله. تتمتم لينا: كلية الطب أو غيرها، المهم أن أتزوج عاطف جارنا. تلكزها سمر برجلها من أسفل المكتب فتبتسم لينا. في اليوم التالي يرى كريم سمر تذهب إلى المدرسة مرتجلة فيقف ويسألها: نوصلك؟ تقول: شكرًا. تدخلت لينا: اركبي باباكي تركك اليوم ليه! سمر: خرج في الصباح الباكر لعمل ولم يكن بوسعه يوصلني. كريم: من حظنا اركبي. كانت سمر خجلة ولكنها ذات شخصية قوية. سألها: هل تعجبين بمهند الذي في تمثيلية نور التركية يا سمر مثل البنات كلهن؟ قالت: أعجب بإخلاصه لنور وعمقه في حبها ودأبه على رضائها فهذا يطمئن أي بنت على مستقبلها. أومأ برأسه على هذا الرأي السديد متأملا سمر في مرآة السيارة متمنيا أن يكون الطريق أطول ولكن ها هي المدرسة.

- توالت زيارات هانيا لحكمت هانم وتوالى تواجد جمال باستمرار عند أخته في ذات الوقت وتبادلا الموبايل والاطمئنان من حين لآخر على بعض وتوالي توصيلها وعزومتها على شاي أو عصير في مكان ما واقتربا أكثر من بعضهما فكلٌ وجد ضالته في هذه المرحلة العمرية.

هانيا: ماذا تفعل لو كانت لك زوجه بجمالي؟

جمال: أندي بها عمري ولا أتركها أبدا من أحضاني.

هانيا: كنت أسعد كثيرا بزوج مثلك وأمارس شبابي. جمال: وهل ضاع الوقت؟. هي: لا أظن فمقوماتنا كما هي.

جمال: فلنقتنصها قبل أن تفلت منا أتوافقين؟. هانيا: أوافق بشدة واحتياج. فأخذها بالسيارة لمكان هادئ وقبلها حتى كاد يعتصر أنوثتها بكل رجولته.

– أما سمر ولينا فنجحتا بالثانوية العامة ودخلتا كلية الطب وكريم يهيمن عليهما بالشرح والمراعاة حتى علق زميل: اترك لنا واحدة يا كريم. فرد عليه: لاينفع واحدة أختي وواحدة خطيبتي. دخلت الكلمه أذن سمر ولينا فخجلت سمر ولينا تبسمت قائلة: ماهذا الكلام الجميل. كريم: أتمنى. ثم نادت زميله لينا فاقترب كريم من سمر: ما رأيك؟ قالت بصراحة: وأنت تقف الآن والشمس خلفك أراك ملكا للشمس. كريم: لا أفهم! أدارت وجهها مبتسمة كنت أتمنى ملكا طول عمري.

نادى صوت عبد الحميد زميل كريم من بعيد: هيا ياكريم المحاضرة فغانم وأشرف ينادون. كريم: يابايخ أهذا وقته كنت أحصل على تصريح خطير وهام.

– ذات يوم قالت نعمت لسيدة: سأسافر بلدتي أرى أخوتي وبعد أن تفرغي من تنظيف المنزل أعطي المفتاح لحكمت هانم لكي تأخذه البنات بعد مجيئهن من الكليه والمدارس.

– وجدت سيدة شريط كاسيت داخل الجهاز ربما أغنيه لأم كلثوم كما يبدو على العلبة الفارغه بجانبه فأرادت تسمع وهي تنظف فسمعت كلامًا آخر يقول: مضى عامان على حبنا فكل سنة وأنت طيب حتى نجتمع للأبد "هانيا الأسد" ثم أكمل الغناء لأم كلثوم قول للزمان ارجع يازمان. بهتت سيدة مما سمعت وصكت يدها على صدرها مستاءة ثم أخذت الشريط ووضعته داخل جلبابها وفي صمت تحركت وهي تفكر ماذا تفعل بذلك الشريط إنه قنبلة والدكتور وهدان لا يستحق ذلك.

- وهدان يذهب لصديقه طبيب القلب ليطمئن على قلبه فيخبره إنه يحتاج عملية في أسرع وقت ولتكن بأمريكا.

يتأزم وهدان ويحمل هم هانيا فلا يريد إخبارها حتى لا تحزن وسيخبر كريم فقط ليسافر معه وبعد نجاح العمليه سيخبر هانيا.

- سيدة ترى هانيا وجمال عند حكمت هانم وتلاحظهما جيدا وتراهما في المرآة التي أمام حجرة الصالون واقعين في أحضان بعض

وشفاهما دون رحمة أو هدوء.

تتعذب سيدة من أجل الدكتور وهدان وتريد إنقاذه. تذهب إليه العيادة فيرحب بها ودون كلام وهي مترددة تعطيه الشريط.

يذهب بالشريط لهانيا ويصفعها بالقلم قائلا: بعد عودتي من أمريكا سيكون لي موقف آخر. ويقضي باقي أيام الأسبوع المتبقي على السفر بحجرته بالعيادة. فيتعجب كريم ولينا من ذلك الوضع ويداعبه كريم: يا حاج أبعد هذا العمر تغضب من ماما هيا نعود للمنزل. يربت عليه وهدان: جهز نفسك للسفر معي ثم يحلها ربنا. يسافر كريم مع أبيه. يفارق الحياة على يديه بسرير المستشفى. يضع كريم يده بسترة أبيه المعلقة فيجد بها شريط كاسيت فيتعجب ثم يسمعه فيعرف ما به فيحزن حزنا مضاعفا بعد معرفة سر زعل أبيه في الأسبوع الأخير ونومه بالعيادة مع حزنه على فراق صديق العمر. ويغوص كريم داخل نفسه وكأنه فقد كريم مع فقدانه لأبيه الذي يعود بجثمانه. يبكي بحرقة وينظر لأمه التي ترتدي الأسود العاري كأنها بحفل تشع من عينيها اللمعة. بينما سمر

تواسي لينا وتعزي كريم وتربت على يديه بدفء وحرارة وغانم يبكي بشده لأنه فقد عائله بعد أبيه فحس باليتم الحقيقي الآن. وبدأ كريم يكرس حياته لمراقبة أمه ومتابعتها والغضب منها وعليها وأهمل دراسته فأخذ يرسب ويؤجل مواد وغانم يحاول رد الجميل بالشرح له والأخذ بيده مؤكدا له إنه مجروح أيضا بوفاة الدكتور وهدان وأبيه في ذات الوقت ولكن الحياة لابد أن تسير وأنا وأشرف نعرض المساعدة الدائمة عليك لكي تلحق بنا. ورغم جرح أشرف بضرب الكنيسة التي كان بها عمه وأبوه وتوفي عمه مع الكثيرين وجرح أبوه إلا أنه لا يهمل في مستقبله ويواصل الحياة: فلا تستسلم يا كريم لليأس فدائما نحتاج لثورة على اليأس والجراح وأنت محتاج لهذه الثورة.

- سمر تحزن من أجله وتشد من أزره دائما سائلة: لماذا تنهار ياحبيبي ياملكي؟ ليست وفاة الوالد آخر الدنيا إنها أزمة لا أنكر ولكن لابد من الحماس داخلنا والثورة على الازمة وعلى الجرح، ضع يدك في يدي. وتمسك هي بيديه بقوة قائلة: عد يا كريم كما كنت.

رد كريم بحزن: أريد رؤيتك الساعة الخامسة. سأريكي شيئًا. ذهبت معه أوقفها بالسيارة بمصر الجديدة وقال: هذه إحدى عمارات أمي أنظري جيدا. رأت أمه ومعها جمال أبوها يصعدان العمارة. نظرت لأسفل. بابا؟ لايمكن! بكى كريم بهيستيريا ثم نهرها: انزلي من سيارتي وارتفع صوته اخرجي من حياتي. نزلت مهرولة: تاكسي. تاكسي. ذهبت لأمها جزعة. دخلت حجرتها تبكي. لماذا يا أبي لماذا؟

- تزوجت لينا بعاطف جارها ضابط الشرطة وفضلت أن تسكن مع أمه التي هو وحيدها. تاركة أمها التي صارت لا تهتم إلا بنفسها وعالمها الخاص الذي هو جمال وتركت كريم المنهار الذي لا توافقه على هذا الانهيار؛ فالحياة مستمرة وليس موت الأب نهاية الدنيا وهي قادرة على إكمال دراستها وهي متزوجة بل حملت وأنجبت طفلا.

- سمر حائرة كيف تأخذ بيد كريم من ذلك البئر السحيق الذي وقع فيه. إنه لايفارق زجاجة الخمر وتخشى عليه من الإدمان.

- في ذات الوقت يلجأ غانم الذي تخرَّج وكان الأول على الدفعة ولكن تم استبعاده ألا يكون معيدا لأخذ ابن أستاذ بالجامعة بدلا منه مستنجدا بسمر انقذي كريم فكلنا معذبون وجرحي ولكن لا نستسلم. فتذهب معه إلى الخمّارة لتنادي: كريم. فيصرخ بها كريم: ماذا أتي بكِ إلى هنا؟ مثلك لا تدخل هذه الأماكن وصفعها بالقلم. يأخذها غانم ويخرج ولكنها تصمم على استرداد كريم من البئر السحيق.

- كريم يذهب الكلية لجيلان أخت سمر ويعرض أن يوصلها فجيلان رأته مع سمر عند عمتها وتعرف ما بينه وبين سمر فركبت معه فأخذها لمكان هادئ وحاول أن يلعب معها لعبة الإعجاب وجيلان ليست بعقل سمر، فخلعت إشارب الحجاب وقالت في نفسها: ما دام معجبًا بي لا مانع. حاول الاقتراب من شفتيها وسرعان ما حضر وجه سمر أمامه فابتعد وارتجف وانصرف مسرعا.

تذهب جيلان إلى أختها نادمة قائلة: أنت خساره في كريم يا سمر وأنا آسفة وروت لها ماحدث. فطنت سمر أن كريم يريد الانتقام من أبيها جمال في شخص ابنته وربتت على كتف أختها متمتمة: فهمت. حاول كريم الكرَّة مع مروة التي بالثانوية العامة وهي عائدة من الدرس وعرض أن يوصلها ولكن مروة رفضت شاكرة وقالت أيضا لسمر.

- تذهب سمر لكريم بعد أن حدثته بالموبايل لكي يقابلها وطلبت منه أن يريها شقة مصر الجديدة وصعدت معه الشقة وخلعت حجابها وفتحت أزرار فستانها ونثرت شعرها الذهبي ونظرت لكريم بحدة ولهجة قاسية: أعرف أنك تريد الانتقام من جمال سليم بتلويث شرفه فهيا انتقم. اقترب منها ثم ابتعد مسرعا صارخا: أنت لا يا سمر أنت لا يا سمر. ثم قذف رأسه على صدرها يدفنها به جاثشا باكيا بحرقة الجريح قليل الحيلة. فداعبت شعره ومسحت مرَّات على رأسه وعنقه ووجنتيه بصوت حنون: هوِّن عليك ياحبيبي. هوِّن عليك. اتركهما لعقاب الله وعد بنفسك إلى الصواب. استجمع جزيئاته المهترئة قائلا: ماذا يدفعك أن تفعلي معي هذا؟

قالت: ربما لأنك من وصفني بنصف آلهة فأقوم بالدور نحوك. ربما لأنك ملك الشمس الذي تمنيته. ربما لقولك لي ذات يوم سأضعك على رأسي. ربما لشعوري بتأنيب ضمير لأن السبب أبي فأحمل وزره. المهم أني أحبك ولن أتركك تضيع. والأهم مصر كلها تغلي الآن والشباب كله على الفيس بوك يدعو لثورة ولتكن خمسة وعشرين يناير في عيد الشرطة القادم. فلست وحدك الذي يئن. الأطفال الذين لا يجدون مكانًا بالمدارس يئنون والمتشردون بالشوارع.

الفلاحون. العمال. المسيحيون. طوائف الشعب تئن ومع ذلك لا يستسلمون للبئر السحيق وسيثورون على كل الضعف والخلل والفساد. فلابد أن تثور وتفيق وتنهض ولا تستسلم. فمد يده ليدها: لا تتركيني يا سمر وخذيني إليك ومعك. احتضنته باحتواء: أجل يا حبيبي.

- لينا تقول لأمها: هل تشتركين معنا بالثورة؟ هانيا: لا طبعا ماذا يضايقكم من حسني مبارك؟ إن حقبته جميلة وعشت بها سعيدة وأحلم بتكملة سعادتي.

لينا: ليس صحيحًا لقد نقلوا عاطف زوجي إلى الصعيد كعقاب لأنه رفض تلفيق تهمة رشوة لموظف لمجرد اعتراضه على تولي جمال مبارك الرئاسة بعد أبيه. فحسني مبارك يصادر الحرية والنزاهة.

هانيا: وما عيب جمال؟ ترد لينا بصوت مرتفع مدافع: الشعب لا يريد هذا الجمال لا نريده في حياتنا ولابد أن تضحي برغبتك من أجل غد أفضل. من أجل حفيدك عادل ابني حتى يفتح أمامه المستقبل الذي نراه مغلقًا أمام الأجيال القادمة.

هانيا: أنا لا أرى غير مستقبلي الذي أوشك على الغروب ولابد أن أحياه بقدر المستطاع.

لينا: مستقبل الأجيال أهم يا أمي فهو مستقبل مصر.

- يتجمع الشباب في صباح خمسة وعشرين يناير بميدان التحرير. كريم وأشرف وغانم وسمر وجيلان والعديد والعديد. الكل ثائر على جراحه وعلى الفساد وعلى جراح مصر ونقاط ضعفها ويرى كريم صورة حسني مبارك تسقط وتعلو مكانها صورة أبيه. وترى سمر علم مصر يرفرف ويصعد ويعلو حتى عنان السماء.

## الرداء الترابي

يتخرج إبراهيم من دبلوم التجارة ويبحث عن عمل بكل جهده حتى يثلج صدر أمه التي كافحت واقتصدت على تربيته هو وأخته فضيلة بعد وفاة زوجها، وحرمت فضيلة من التعليم لأن الستة قراريط لا تكفي لتعليم فضيلة وإبراهيم معا فهي كمعظم الريفيين تهتم بتعليم الولد عن البنت. يعجز إبراهيم عن إيجاد عمل فيفكر ببيع قراريط وشراء سيارة نصف نقل يعمل عليها وتوافقه الأم ويشترى السيارة وتسير الأمور على مايرام. يقصده أهل القرية والقرى المجاورة في نقل وتوصيل أغراض من محاصيل وأثاث وبضائع للتجارة.

فيتَكسب وتهنأ معه أمه وأخته ويزوج أخته بالقرية المجاورة لشخص مناسب ويفكر هو أيضا في الزواج. فهو من بقايا سلالة من الدم الأزرق أحنى عليها الدهر جيلاً بعد جيل وهو من الفرع الفقير له عينان زرقاء كالبحر أو السماء تسحر كثيرًا من فتيات القرية والقرى التي يمر عليها بسيارته. من إحدى القرى فتاة تدعى أنوار كانت كثيرا وهي عائدة من المدرسة والدنيا ممطرة توقف سيارته ليوصلها في طريقه وهي أيضا ثانوي تجاري. كان يفتنها بدماثة خلقه وعيونه الزرقاء. حين عرض عليها الزواج وافقت على الفور.

فرغ إبراهيم لبناء منزلهم بالطوب الأحمر فكان من الطوب النيء فصار شقة ثلاث غرف وصالة يحيطها فناء صغير يربون فيه الدواجن والطيور وسعدت أمه فسوف ترى له أبناء قبل وفاتها مثل ابن فضيلة. انتقلت أنوار من قريتها إلى

بيت إبراهيم سعيدة هانئة بالرفيق الذي ترضاه لباقي عمرها. بعد أسبوع من العسل نزل إبراهيم بسيارته لنقلة من مكان لآخر وأثناء عودته وجد سيارة نقل معطلة في الطريق فأخذ سائقها يوصله وعرف سائق النقل أن إبراهيم عريس جديد فأراد أن يكرمه حق التوصيلة وأعطاه قطعة أفيون كبيرة قائلا: هذه هدية من زميل لك ستجعلك عريسًا لمدة أسبوع متواصل فتناولها إبراهيم وبمجرد وصوله البيت شعر بالاختناق وارتفاع الحرارة والتشنج وفارق الحياة. قرر الطبيب الذي كشف عليه أنه بسبب أفيون زائد. صكت الأم وجهها قائلة: لسنا وش ذلك يا إبراهيم. وأنوار كالمذهولة: لماذا؟ لماذا؟وتخبط صدرها وتصرخ: يا رفيق عمري الذي اخترته مهما بعد جسدك الترابي وذاب مع الأرض فروحك باقية ومحفورة بداخلي ولن أكون لغيرك وقبلت جبهته وودعته وخرج الجثمان إلى المقابر الترابية.

بقيت أنوار تمرض أمه التي لم تتحمل الصدمة وبعد شهرين ظهر الحمل عليها ففرحت الأم أن إبراهيم له آثار متبقية في الدنيا لم تخرج من البيت. تنهدت أنوار متحسسة بطنها بيدها ليتك هنا يا إبراهيم. فكرت أنوار ببيع السيارة وشراء مواد تجارية بثمنها لتبيع لأهل القرية وتكسب وتعيش وحماتها وما بأحشائها ووافقتها الحماة.

جعلت شباك حجرة على الشارع تبيع منه البضاعة وتأخذ النقود. البضاعة تملأ المنزل. جاء وقت المخاض. حولها فضيلة وحماتها والمولدة ينتظرون آثار إبراهيم فنزل مولود ذكر ولايزال هناك آخر. فرحت الحماه كثيرا ودعت لها فجاء ذكر آخر. ملئ البيت بالزغاريد والفرحة وأنوار تشكر الله وتتنهد أنها هدية

جميلة وثقيلة في ذات الوقت. قالت الحماة: لا تحملي همًّا يا أنوار سأتولى رعاية طفل وأنت رعاية الآخر. إن الله أراد تعويضنا.

كانت الحماه خير عون في رعاية الطفلين خالد وسعيد اللذين هما نسخة طبق الأصل من بعضهما ومن إبراهيم، يفرقهما أن خالد يزداد مسحة في الحجم عن سعيد. كان يبكي خالد فيبكي سعيد. ترتفع حرارة أحدهما فترتفع للآخر. يشعر كل طفل بأخيه وهما بالمدرسة أن أخاه وقع على الأرض بالفسحة فيتألم.

أنوار تبيع وتشترى وترعى طفليها وحماتها وتنظر صورة زفافها متحدثة لإبراهيم: أعرف أنك فرح الآن بأولادك وأن كيانك الروحي موجود معنا مهما كان جسدك الترابي تحلل. ساعدني من علاك أن يصير الولدان ذوي شأن عظيم ويتخرجا من الجامعة.

سمعها خالد فقال: ماذا تريديني أن أكون يا أمي؟ قالت: طبيب وسعيد مهندس. قالا بصوت واحد: سنفترق بالكليات يا خسارة. وشاطا الكرة فخرجت من الشباك وهما يركدان خلفها.

أنوار بكل أسف تعاني من فيرس الكبد الوبائي ولكنها لا تمتثل للمرض فتبيع وتشترى وتذهب ببضاعة للمنازل إذا طلب منها أحد.

دائمة النظر لطفليها بتنهد تريد أن تشفى لكي تكمل معهما المشوار.

تذهب المستشفى لتأخذ العلاج وتطمئن على نفسها ولكن الحالة تتأخر والجدة تمرض هي الأخرى فتأخذها فضيلة إلى منزلها لكي تخفف العبء عن أنوار.

تظهر نتيجة الابتدائية للطفلين. ناجحان والحمد لله. أنوار تربت عليهما مقبلة بحنان: أود لوتتخرجان بسرعة وتحججاني عند الكعبة والمهم ليس لكما غير بعضكما فأنت الكبير ياخالد احتضن سعيد دائما فأنت متعقل زيادة.

- تنتهي حياة أنوار هي الأخرى لتلحق بإبراهيم في العلا.

- خالد وسعيد ينظران لبعضهما محتضنين سائلين: ماذا سنفعل!؟

قال خالد: أنت مجموعك أكبر من مجموعي فلتكمل أنت تعليمك كما تريد أمنا وأشتغل أنا في البيع بدل أمي فلا بد أن يحقق أحدنا الأمل.

- تأتي الجارة أشجان بطعام لهما ماسحة على رأسهما: كلا يا أولاد أنوار كانت مثل أختي. قال خالد: شكرا إن ما كانت تفعله أمي أمام أعيننا سنسير عليه مهما جسمها بعد. تعليماتها وأفعالها باقية تؤنسنا ونفعل مثلها ولن نحتاج للمساعدة. ابتسمت الخالة أشجان مؤكدة: أنك راجل ياخالد يعتمد عليك كما كانت تقول أمك ولكن إذا احتجتم إلى شيء أنا تحت أمركم وعمك سليم تحت أمركم أنتما مثل جلال ابني. رد خالد شاكرا. وجلس بالشباك ينتظر من يأتي ليشترى منه فمر يومان ولم يأت أحد. فكر أن يذهب للمنازل يعرض البضاعة وإلى القرى المجاورة حتى بدأت الأمور تسير والحياة تنتظم. ذات يوم جاء إليه سعيد مقطوع البنطلون بسبب لعب الكرة فحزن خالد وقال: سأعطيك بنطلوني وأظل أنا بالترنج فقط ولكن أرجوك اللعب ترف وعز ولسنا أهل العز والترف الآن فلا تلعب بل ذاكر فقط. كان خالد يفضل سعيد عليه في الطعام وهو يقول: أنت تذاكر فتحتاج للذكاء والمخ الكويس كما كانت تفعل أمنا معنا وتفضلنا

بالطعام. فبكى سعيد وقال: وأنت ياخالد. هل أنت بدل أمي الآن؟ قال خالد: واضح أني بدل الأم والأب كل ما أسعى إليه أن ترضى روح أمنا.

كانت عمة أبيهم الجدة سوسن المتيسرة نوعا التي تنتظر ابنتها المتزوجة التي تأتي من القاهرة بأولادها كل خميس وجمعة ترسل للولدين كل جمعة دجاجة وطعام مما صنعت لابنتها وأحفادها فيعيش الولدان على الدجاجة ويكملان الأسبوع على البطاطس المسلوقة أو المحمرة وعلى الجبن والفول والطعمية الذي يجهزهم خالد وكان يغسل ملابسه وملابس أخيه ويهتم أكثر بملابس المدرسة وكل سنة يدخر مبلغ لشراء بنطلون جديد وقميص وحقيبة لسعيد وأدوات الدراسة ومصاريف المواصلات من القرية إلى المدرسة حيث كبر سعيد وانتقل للثانوي بالمركز. وصارا شابين وسيمين ويزداد خالد مسحة في الطول والعرض وحسنة بجانب الأنف.

- حلم خالد أن يشترى عجلة ليوزع البضاعة وهو يركبها على القرى المجاورة وأخذ يعمل جاهدا ويوفر وعندما أتى بالعجلة اقترح سعيد بمزاح أن يأخذها ويذهب بها المدرسة وبعد أن يعود يذهب خالد لمشاويره. صمت خالد قليلا ثم وافق على الفكرة متنهدا وقال: أنا ليس لي غيرك يا سعيد المهم عندي أن ترتاح وتذاكر وتدخل الجامعة.

كان يأخذه إلى سوق المركز والمحال التجارية يجوبان المحلات فيشتري لسعيد قطعتين من الملابس ويشترى لنفسه الضروري فقط الذي يجعله مستورًا سواء في الشتاء أو الصيف. . .

- وقع سعيد ذات مرة وصدم في سيارة بالعجلة فنزف دمًا كثيرًا من جرحه وشعر خالد بانقباض وهو جالس بالشباك يبيع حتى جاءه على العجلة ينزف فبكى خالد وأخذ أخاه فورا إلى مستشفى المركز وتبرع إليه من دمه وأثناء رقادهما لنقل الدم قال سعيد بولاء: حتى دمك يا خالد تعطيه لي فماذا أفعل لك!؟ قال خالد: تذاكر وتتخرج وتحج لأمنا.

سعيد يتحدث بشجن واعتراف بالجميل: أنت غالي قوي ياخالد فأنت مؤنسي منذ كنا في رحم أمنا أنوار ولا تعلم كم حزنت عندما تركتني في رحمها ونزلت قبلي إلى الدنيا فأحسست بالوحدة فأنا لا أتخيل الحياة بدونك والآن دمك في جسدي فأنت تسكنني وتؤنسني وترعاني فأنت كل شيء وأنا بدونك لا شيء.. ثم عادا للمنزل مرتبطين ببعضهما أكثر فأكثر. جاء جلال ابن الخالة أشجان بطعام قائلا: جئت أتناول طعامي مع زميلي سعيد بمناسبة شفائه فتركهما خالد وذهب يأكل من المطبخ الجبن والبطاطس ليترك كبد الدجاج لسعيد وجلال. يدوب تكفي اثنين، فالخالة أشجان ليست ميسورة وزوجها دائما يشكو غلاء الكيماوي والأسمدة للأرض وأن الفلاح مهضوم الحق والمحصول هكذا يقل عاما بعد عام ولا يعرفون كيف يعيشون في الدنيا ويعده جلال أنه سيصبح وزيرا للزراعة ويتولى شأن الفلاح ويصلح من أحواله وحال الزراعة في مصر الذي صار سيئًا بعد أن كانت مصر البلد الزراعي كما تقول كتب المدارس أصبحت تستورد المحاصيل الإستراتيجية وحال الفلاح يتدنى.

سعيد: الكل تعبان كل بمشكلته والفقر يسود الناس والأغنياء لا يحسون بالناس فأنا أتمنى أعمل بالسعودية وأصير غنيًا وأصلح حال البلدة بالتبرع في

صندوق خاص لهم وأقيم مشاريع لأهل البلدة لتيسير حصول الفلاح على الأسمدة والكيماوي والبذور ورعاية المحصول وجمعه وبيعه فالفلاح مظلوم وأبنائه مظلومون. يقف جلال: سآتي بكوبين شاي لنذاكر. يقول خالد: الشاي عليَ أنا فذاكرا أنتما.

- نجح سعيد ودخل كلية حاسبات ومعلومات وفرح خالد به كثيرا فطلب سعيد لاب توب مهم لدراسته. ذهب خالد إلى الجدة سوسن يطلب منها بحياء ألفي جنيه ليشتري لاب توب لأخيه لزوم الدراسه وسيسددهم لها قريبا فربتت على كتفه بحنان قائلة: سأجهزهم لك مني ومن أخي هدية لسعيد لالتحاقه بالجامعةوإذا أردتما شيئًا لا تخجلا نحن أهل وأبوكما ابن عمنا وأمكما مكافحة وعزيزة.

- ازدادت مصاريف سعيد بالجامعة فكثف خالد مجهوداته باللف على القرى المجاورة وعلى المنازل حتى يبيع أكثر ويوفر نفقات سعيد.

سعيد مبهور بالعالم الجامعي والأنشطة والأسر ولكنه يسير جانب الحائط ليحقق التفوق ويأخذ العلم وفقط من الجامعة كما نصحه خالد.

فالأنشطة والرحلات ترف لايقدران عليه فنصب عينيه على المذاكرة والمذاكرة فقط ليرضي خالد ويرضي روح أمه وربما روح أبيه الذي لم يره. بينما تتودد إليه الزميلة سهادة المرتدية الخمار ووجهها أبيض كطبق اللبن وعيناها كاللوزتين وثغرها باسم لأنها معجبة بالتزامه وسكونه وتفوقه ووجاهته رغم الملبس الواحد الذي لا يغيره. سعيد ينشرح برؤياها ولكنه يحدث نفسه أن الحب ترف لا يقدر عليه وفي رقبته دين لخالد لابد أن يسدده أولا فيبتعد عنها. هي تتحجج دائما بطلب المحاضرات وفهم بعض النقاط التي لم تفهمها وتلاحقه بالمكتبة بالجلوس معه. حيث تقول: ألا تفكر بالمستقبل؟

سعيد: نعم أفكر بالعمل والسفر وتعويض أخي الذي هو كل أهلي عن مجهوداته.

سهادة: والزواج أين هو منك؟

سعيد: الزواج له متطلبات كالشقة والمهر والشبكة وأنا أعاني ضيق ذات اليد.

سهادة: إذا كانت ستعاونك وليست عبئًا عليك.

سعيد: وأهلها ما موقفهم؟

سهادة: تقنعهم وهم لايرفضون لها طلبًا لأنها وحيدتهم. قال بتنهد: لا أملك الرد الآن.

بينما هو متكئ على السرير في منزله شارد الذهن منفرج أسارير الوجه دخل خالد عليه وفهم ما يطرأ على أخيه فاتكأ بالجانب الآخر من السرير وقال: يا أخي الحبيب أنا شاب مثلك لسنا أهلاً للحب الآن. الحب يعني زواجًا. الزواج يعني نفقات. أكمل ما تبقى من الجامعة بتفوق أرجوك. فاعتدل سعيد وقال: لا تخف يا أخي أنا حريص على دراستي وأعلم أنك أحق بالحب والزواج من سلمى ابنة خالة أشجان فهي تلاحقك بالنظرات وتروق لك وأنا أريدك أن تتزوج.

خالد: برغم أن خاله أشجان عرضت عليَّ الزواج بدبلتين فقط وان سلمي ستعاونني في البيع وسنكتفي بحجرة وأنت الثانية إلا أني خشيت نفقات والتزام الزواج ولو رزقت بأولاد وجدت أنك أحق بكل جنيه.

عانق سعيد خالد بكل قوة وحب وعواطفه تجيش بصدره ووجهه وقال: يا كل أهلي يا أخي الحبيب يا توأم الروح والجسد والمنبت والعمر سأقيم لك فرحًا كبيرًا إن شاء الله من مرتبي قريبا فاطمئن.

نهضا ليجلس سعيد على المنضدة يذاكر ويجلس خالد يقرأ في كتب العام السابق كما تعود دائما ليوسع مداركه ويحاول فهم ما يعرفه سعيد ويستعين سعيد لشرح بعض النقاط فهو يقرأ للمعرفة دون الارتباط بامتحان.

في الجامعة اقترب الزميل عبد الباسط الملتحي من سعيد قائلا: على مدى ثلاث سنوات وأنت نعم الزميل الملتزم فلماذا لا تنضم إلينا وتطلق لحيتك. قال سعيد: أنتم مهددون وأنا لست حمل الضغط فالقدر ضغطني بما فيه الكفاية أنا أريد التخرج بفارغ الصبر لأريح أخي.

عبد الباسط: أنت متفائل أنك ستجد عملاً فور تخرجك؟ أنا لي ثلاث أخوات تخرجوا ولم يجدوا عمل حتى الآن وليس مع أبي عشرون أو ثلاثون ألفًا ليدفع للحصول على الوظائف فالبطالة تملأ البلد والشباب يفور وكأنه قنبلة موقوتة اخرج من مشكلة أخيك واشعر بباقي الشباب وانضم إلينا ربما تجد الراحة.

سعيد: لا تغلق المستقبل في وجهي أنا عندي أمل وليست نجاتي معكم وإذا لم أجد عملاً أو سفرًا سأعاون أخي في تجارته فأنا لا أريده أن يقلق بشأني لأي سبب. سحب عبد الباسط كشكوله من على المنضده وقال: فكر وأنا تحت أمرك.

يقف سعيد يفكر فإذا بسهادة تتهادى مقبلة عليه بثغرها الباسم فيشعر أن الدنيا مقبلة عليه من خلال سهادة بوجهها الرائق ولكنه يتذكر حديث أخيه فتصمت أحاسيسه.

سهادة: ألا تنضم إلينا يا سعيد؟

سعيد: في ماذا؟

سهادة: ستسافر أسرتنا الجامعية إلى القاهرة في الخامس والعشرين من يناير للوقفة الاحتجاجية والسلمية لمطالب الشباب. ففكر برهة وقال: أسافر. أنا شاب مثلكم ولي مطالب بسيطة وبدائية في الحياة. العيش- الكرامة- الحرية- الأمان- والحياة الكريمة.

سافروا حيث امتلأ ميدان التحرير بالشباب ولم يمتثل أحد لمطالبهم بتغيير النظام فازداد الشباب حنقا والتف الشعب حوله واكتظ ميدان التحرير وطالبوا بسقوط النظام والفساد فإذا بدخول الجمال والأحصنة ميدان التحرير وسط المحتشدين تضرب وتفرق ويطلق رصاص.

وكان خالد قد قلق على أخيه وهو يتابع الأحداث بالتليفزيون فنزل إلى القاهرة ودخل ميدان التحرير يبحث عن أخيه فإذا برصاصة تصيبه.

فينادي: سعيد حبيبي أخي. فتتلقفه يدان إذا بها يدا سعيد وبجانبه جلال وعبد الباسط وسهادة ويصرخ سعيد: لا يا أخي لا ياحبيبي لاتخرج من جسدك الترابي وتنتقل إلى عالم آخر قبلي. ولكن خالد فارق الحياة وسعيد.

هلل الجميع يصرخون لن يضيع دم الشهيد وسيسقط النظام وتنهض مصر حرة.

# الحب والموت

ذهب المهندس علي ذات يوم إلى كلية التجارة جامعة القاهرة للقاء ابن خالته الملتحق حديثا بالكلية ليذهب معه إلى بعض العملاء ليبني لهم عمارة على النيل حيث إن العملاء عن طريق زوج خالته فهما أخوه وابن عمه.

وقف ينظر كنمر وردي البشرة حتى يلمح أشرف ابن خالته ولكنه تثبت بنظرة على طالبة تجيء وتذهب تروح وتغدو تصعد السلم ثم تنزل تملأ الكلدور حركة وحيوية تمد يدها بأوراق تقنع من تحدثه بحضور ندوة وهذه الورقة إعلان عن الندوة وكلها ضحكات تملأ وجهها البريء الأسمر وتملأ من تحدثه بهجة وضحكات أيضا.

فتقدم ليأخذ ورقة هو الآخر سائلا: عن أي شيء الندوة؟ قالت وكلها بهجة: عن التدخين لكي لا تصيبك أضراره وأنا واثقة أنك ستقلع عنه فورا. هو: متى الندوة؟ ردت باهتمام: غدا سيتحدث فيها الدكتور شريف عمر رئيس جمعية مكافحة السرطان. هو: ما اسمك؟ هي بمراوغة: ليس هذا من صميم الندوة. وشغلت نفسها بشخص آخر تقنعه بحضور الندوة وعرض الدعوة عليه.

احتقن المهندس علي في وجهه البمبي وانسحب حتى اختفى بين الذين يملأون المكان من طلبة ذهابًا وإيابًا.

جاءت صديقتها ماجدة تناديها: هيا يا رحاب للمحاضرة سيعطينا هذا العام الأستاذ يسري عويضة مادة المحاسبة اتركي دعوات الندوة فالمحاضرة أهم. وبالفعل وضعت رحاب باقي الدعوات في حقيبتها لتذهب مع صديقتها المحاضرة.

ماجدة فتاة رقيقة الجسد والحال والمشاعر فنصيبها من الجمال ضعيف ومن رغد الحياة ضعيف أيضا. أما رحاب فأنعم الله عليها بنصيب وافر من الجمال النادي الناعم الأنثوي والوجه الحيوي والحالم في ذات الوقت والجسد الرخيم المنسق والحياة الميسورة حيث أحضر لها والدها سيارة "سيات " خضراء بلون عينيها اللتين يعكس خضارهما مع بشرتها السمراء سحرًا وخطورة على من يراها من الرجال وما ترتديه رحاب اليوم لا ترتديه غدا وهي تحمد الله على هذا معترفة بفضله فوالدها محامي شهير ووالدتها مدرسة أولى بالتجريبية الثانوية ولها شقيقان أصغر منها بالثانوي والإعدادي وهي تأخذ نصيبًا من تدليل أبويها لا تستغله أبدا وإنما تنعم به وتحافظ على استمراره.

في اليوم التالي جاء المهندس علي إلى الندوة يبحث بعيونه عن تلك الفتاة حتى سمع زميلة تناديها قائلة: نجلس هنا يا رحاب. فعرف اسمها وذهب يجلس بالقرب منها.

- الدكتور شريف يتحدث عن التدخين وخطورته والمهندس علي لا يرفع عينيه واهتمامه من عند تلك الساحرة. هكذا أطلق عليها بين نفسه، أمس حيث كان لا يعرف اسمها. لقد نسى ابن خالته ونسي ما جاء من أجله وبعد انتهاء الندوه اقترب منها ينادي: آنسة رحاب هل تذكريني؟ ردت: نعم أخذت دعوة

أمس وحضرت اليوم. فقال: أنا شاكر، فالندوه أفادتني كثيرا كثيرا وسأقلع عن التدخين فورا يا ترى حضرتك في سنة إيه؟ ردت وهي تستعد للذهاب: سنة ثانية عن إذنك.

فتعجب هو فمعظم البنات اللاتي يقفن أمامه يتأثرن بوسامته "الطول والعرض" الشعر الأسود الفاحم. العينان السوداوان بشدة وسط بشرته البمبي، واحتقن الدم في أذنيه جعلها حمراء وضغط على أسنانه يصك بعضها بعضا لابد، أن تتأثر بي هذه الرحاب.

بعد يومين جاء باحثا عنها مدبرا شيئا: آنسة رحاب أقصدك في خدمة لو تسمحي بمنطلق الإنسانية. نظرت إليه باهتمام: خيرا ماذا تريد؟ هو: أنا مهندس ولي شركة مقاولات صغيرة مبتدئة وأريد عمل ميزانية لها فأقصدك فيها حتى لا تأخذي مني أجرًا كخدمة حيث إنك إنسانة كلها خير ومساعدة. ضحكت بخجل وقالت: أنا لا زلت صغيرة في سنة ثانية لا أجيد تضبيط ميزانية أفضل مني سنة رابعة.

قال مسرعا مستكينا: لا أعرف أحد من سنة رابعة وما ستفعليه سيكفيني ويقرب الموضوع والارقام لذهني حتى تدور عجلة شركتي وأحضر لها موظفًا مختص أو تكوني تخرجتي وتقومين أنت بالعمل فيها لو تكرمتي. ضحكت شاكرة بتعرض عليَّ عملاً من الآن شيء كويس. وعيناها من الحين للآخر تبحث عن صديقتها ماجدة. سألها: هل تنتظرين أحدًا؟ ماجدة صحبتي ذهبت تشرب شاي ولم تأتي .

هو: أين؟ هي: في الكافيتريا. قال مقتنصا الفرصة: هيا بنا نذهب نبحث عنها وتقومين بتضبيط الأوراق التي معي بالمرة. تضحك مندهشة: أنت جاهز كده. وطلب اثنين سفن أب وتركها تغوص في الأرقام والورق وتشرب السفن أب!

رحاب تفتح عينيها مستغربة: ما هذا الوضع الذي هي فيه؟ إنها على كرسي سيارة مفتوح نائمة بجوارها أشجار ممتده على الرصيف والمكان هادئ يخلو من المارة ومياه النيل على اليمين وشخص ما على اليسار. اعتدلت في الجلوس ناهضة تنظر إلى ذلك الشخص الذي بيسارها: حضرتك مين؟ ألست أنت المهندس الذي طلب تضبيط ميزانية لشركته؟ قال بشكل جاد وهو ينظر أمامه ولا يلتفت إليها إلا بطرف عينه: نعم.

هي منزعجة: ما أتي بي هنا؟ أجاب باستهتار: أنا. هي حانقة: من أذن لك؟ أجاب بوقاحة حين أريد شيئًا لا آخذ إذن. أعطي أمرًا فقط. انفعالها يزداد أكثر فأكثر: أنت منحط ووقح من أنت بالنسبة لي لكي تعطي أمرًا؟ لايزال في وقاحته: لو لم أجد طعمك كالشهد لكان لي معك تصرف آخر. تكاد تصرخ في كلامها: ماذا تقول أيها الوقح الجبان أنا لا أذكر كيف ركبت معك هذه السيارة! قال باستهتار: لأنك لم تكوني بحالتك الطبيعية بعد شربك السفن أب. قالت بفزع على نفسها: ماذا كنت إذن؟ إلى الآن أشعر أنني لست طبيعية ما الخطب؟ يرد بصفاقة: الحكاية أن البرشام الذي وضعته لكِ في السفن أب يفعل كل هذا ويجعلك أظرف وألطف. تنفعل وتبكي وتلكزه في كتفه بيدها وتنساب منها الشتائم: أنت قذر حيوان وقح كلب أنت كابوس مزعج من أين طلعت لي؟ يرد

وهو يلوك لبانة بين شدقيه: أنا نزلت من السماء لأخلصك من عقدك وتقفيلك كلما لمستك تقولين عيب شيل يدك لا تبوسني. وهل أنت فعلت كل هذا؟ نعم فعلت ووجدتك أنثى رائعة وأتخيل الباقي أنه بنفس الروعة يزداد حنقها قائلة: لو بيدي مسدس لقتلتك فأنت بشع وغلس ورذل.

يرد بتمكن: شكرا ماذا تفعلين؟ أفتح الباب لأنزل.

-لن تستطيعي الذهاب بمفردك المكان مقطوع ولن يراكي أحد ولابد أن أوصلك.

هي: لا أطيق التواجد معك أكثر من هذا.

لماذا ألا يعجبك شكلي؟ هي: أنا أحتقرك. يتحدث بغرور: لماذا؟ أنا شخص حلم لكثير من الفتيات وبلغة العصر عريس لقطه مهندس ميسور الحال وحصولي على شقة سهل من العمارات التي أبنيها وأملك سيارة خاصة.

هي: تملك زفتة خاصة.

هو: مقبولة منك من أجل قرص العسل الذي وجدته بين شفتيك. على فكره أنا مبهر ووسيم لكثير من الفتيات.

هي: لكني لست مبهورة بك ولا بكل ما ذكرت. أجابها بهدوء: بعد فترة ستأخذين عليَّ وتعجبين بي مثل كل البنات الطبيعية.

هي: أنا لست طبيعية.

هو: من أجل هذا أنا أعالجك لتصبحين طبيعية.

تلكزه بيدها بغلّ وقلة حيله وتحتقن الدم والبكاء.

تصرخ: أريد أن أذهب.

هو: لاينفع حتى ينقضي مفعول البرشام بعد ثلاث ساعات ومن الأفضل أن تعودي ظريفة هادئة بدمك الخفيف وتجاوبك فباقي ساعة.

هي: لا أذكر أني كنت ظريفة معك ولا كيف كنت؟

هو: هذه مشكلة البرشام ولكني أنا أذكر وهو المهم.

هي: أيها الحيوان كيف تفرض نفسك بهذه الصورة.

هو: هذا جزائي حاولت أساعدك؟ على العموم هذا من بختي أن وقعت على مثلك فأنت لون جديد بعالم الفتيات الممل المؤرف كلهن يتشابهن ومن أول لقاء مملات أما أنت تجمعين بين الاحترام والسحر وخفة الدم والحديث العذب والأفق المميز والصوت الجميل فقد غنيتي لسميرة سعيد وكان صوتك أحلى من صوتها.

هي: وكمان غنيت! ما اسم هذا البرشام؟ هو: لن أقول حتى لا تأخذيه إلا معي.

هي: هل تعتقد أني سأقابلك مرة أخرى؟ قال: نعم.

هي: عندما تشوف حلمة أذنك. اعتبر هو هذا تحديًا وصمم أن يقابلها ثاني يوم.

- في هذه المرة فتحت عينيها على صوت أمها التي تشبهها في الشكل والعيون إلا أن أمها بيضاء البشرة فقد أخذت رحاب السمار من أبيها، تقول:

اصحي اشربي الشاي مع والدك فهو يريدك في موضوع. قامت رحاب من سريرها وهي حائرة تتذكر لقطات من كابوس مزعج بطله المهندس الذي كان لديها بالصباح بالكلية وهي لا توقن كابوس أم حقيقة!

وجدت أباها في الفرندة يحتسي الشاي والشاي حقها ينتظرها جلست زائغة العين والإحساس تحاول تجميع نفسها بصعوبة حتى لا يعرف أبوها الكابوس الذي كانت تراه.

دخل أخوها الذي يليها وهو بالثانوية العامة يطلب نقود حصة الرياضه والأب غير آمل بنجاحه لأنه كثير اللعب والاندماج في كل شيء إلا المذاكرة وهي دائما تدافع عن أخيها عندما يلقى التوبيخ من الوالد ولكن هذه المرة تشعر أن التوبيخ ضروري حتى لا يصير مستهترًا مثل الكابوس.

-عرض عليها أبوها ابن خالها فهو ضابط على حدود مصر والسودان بالجنوب بقرية حلايب وقد تقدم لخطبتها. أجابت وهي غائرة الذهن: لا يا أبي ليس الآن ووقفت قائلة عندي مذاكرة كثيرة وذهبت إلى حجرتها تشد نفسها من الكابوس المزعج وأقنعت نفسها أن تذاكر مادة الإدارة أفضل فغدًا لديها محاضرتان متواصلتان يلقيها الدكتور ساهر كل أربعاء.

في الصباح ارتدت ملابس عملية بنطلون جينز وتيشرت أسود وجمعت شعرها ذيل حصان ولم تضع بعينيها سوى كحل فهي متقلبة المزاج في الماكياج واللبس فيوم كلاسيكيه ويوم اسبور وآخر عملية وهذا اليوم عزمت لو رأت المهندس ستظهر أنها لا تعرفه. وبعد انتهاء محاضرتي الدكتور ساهر ذهبت وصديقتها ماجدة إلى الكافيتريا تشربان شيئًا ويذهب المهندس علي خلفهما

دون حديث وهي تنفذ ما عزمت عليه أنها لا تعرفه وهو ينظر لها ولماجده ويتنمر بفكره. قامت ماجدة تطلب اثنين بارد من عامل الكافيتريا فبسرعه قام لماجدة وقال بذوق أنا عازمكما وصديقتك فماجدة رأته قبل ذلك بالمدرج يوم الندوة يتودد لرحاب ورأته أمس بالكافيتريا معها فظنت أنه صديق محبب لرحاب فطلب لهما السفن أب وأشار للجرسون بزجاجه بعينها يعطيها لرحاب والأخرى لماجدة وذهب يجلس معهما قالت رحاب مستنكرة: كيف تجلس نحن لا نعرفك. اندهشت ماجدة: كيف يا رحاب؟ أمس كنت جالسة معه بتودد تنظمين له ميزانية كما قلت لي وذهبتي معه. رد هو مسرعا يلاحقها: واليوم مختلفان أنا ورحاب على شيء صغير ولكن أريدك خمس دقائق يا آنسة ماجدة. نظرت ماجدة لرحاب تحاول فهم شيء وقالت: لا تتحركي سأرى ماذا يريد وأعود إليك.

جلست رحاب في مكانها تنتظر عودة ماجدة ولكن بعد فترة كان العائد المهندس علي بعد إقناعه لماجدة أنه سيصالح رحاب.

وجلس أمامها وكان مفعول البرشام يجعلها تضحك وتقول بصوت عال ماجدة ذهبت وجئت أنت فأخذها من يدها اخفضي صوتك وهيا أوصلك. أعرف منزلك بشارع المساحة بالدقي أجابت بظرف: "صح برافو عليك "وإيه كمان؟ قال: وعلى ناصية شارعكم محل عصافير تحبينه. بنفس حالتها: صح ولكنك لن تكون عصفورا أبدا ها. ها. ها أسرع بها إلى حيث سيارته وفتح الباب وأجلسها. هي: هل هذه سيارتك ولا سارقها؟ هو: أنا لا أسرق سيارات أنا أسرق فتيات. هي: صح سرقت ماجدة منذ قليل وجئت تسرقني. هو:

ماجدة أقنعتها أننا تشاجرنا أمس وأوقفت لها تاكسي وعدت لأسرقك. هي: ها. ها. ها حرامي.

ولكني أشعر أني أعرفك كثيرا. هو: ألا تشعرين أنك تحبينني كثيرا. هي: أرني وأمسكت بذقنه لتلفت وجهه إليها وهو يسوق بصراحة لا أحبك لا كثيرًا ولا نصف نصف. فقط آخذ عليك لا أدري من أين! بندم وألم هو: أنا أعرف من أين ولكني أريدك تحبيني. هي: وأنا أريد أعرف كيف أعرفك آه عرفت! انشرح وجهه. قالت: من الحلم أنت من أتى في حلم مزعج وكنا نتشاجر وكنت أنت طويل البال. هوبرفق في اللهجة: وستجديني حمولا لكِ كثيرا. خطر ببالها أغنيه لليلي مراد زعلان أصالحك غلطان أسامحك فغنتها وهي تضحك ثم أغنية لشادية عايز تخاصمني خاصمني. وبالفعل كان صوتها جميلاً في أذنيه وهو ينطلق بالسيارة إلى النيل وذلك المكان البعيد وسألها هل تعرفين الرقص قالت: بإجادة. عندك فرح وتبحث عن راقصة؟ قال: عندي فرح وأريد راقصة من نوع خاص. هي: راقصة قطاع عام مثل المسرحية.

هو: راقصة وعروسة بنفس الوقت.

هي: يا ترى بتوفر ثمن الراقصة ولا ثمن العروسة ها. ها. ها.

يضحكان معا بسعادة. أوقف هذه السعادة يده حين وضعها ليمسك يدها ليشعر بامتلاكها فاصطدمت بفخذها ففاقت وتذكرت هذا الغريب كيف هما معا بمكان خلوي يضحكان، قالت: وقد اقتضب وجهها: أنت رجل غريب.

قال مستعطفا: لم أعد غريبًا لقد عرفتك وعرفتيني.

قالت: أنت تفرض نفسك علي.

هو: يا بنت الناس كنت لطيفة منذ قليل.

هي: أنا لا أكون لطيفة مع مثلك أنا أريد الذهاب لبيتي وسأعرف ماجدة شغلها كيف تتركني معك وتروح وحدها.

قال: ماجدة ليس لها ذنب هي تظن أننا متفقان ومنسجمان.

هي: من أين ظنها؟

هو: ولماذا لا نكون هكذا؟ كنت زي العسل منذ دقائق تغنين وتمرحين وتبددين شقاء حياتي إلى عسل.

هي ساخرة: أنت في شقاء؟ الأوغاد يسببون الشقاء للناس.

هو: سيأتي يوم أحكي لك عن شقائي الحقيقي وستعذرينى.

أريد فقط إلى أن يأتي هذا اليوم تظلين كالعسل.

هي: أنا لا أفرز عسلي لمخلوق وقح أتمنى له الموت لينتهي من حياتي.

هو: الله يسامحك أنا يبدو أنني وقعت.

هي: وقعت في ماذا؟

هو: وقعت فيك.

هي: من منا في قبضة الآخر؟

أنا في مكان لا أعرفه ولا أرى فيه تكسيات ولا أجد غيرك وبرغم كرهي الشديد لك ألجأ إليك لكي أعود إلى أهلي فأنا أشعر أني مخطوفة!

هو: فعلا وأتمنى ألا أفعلها ثانية.

هي: ماذا تفعل؟

هو: أتمنى ألا أخطفك وهذا بشرط.

هي: ماهو؟

أجاب بتوسل: تأتي لمقابلتي بهدوء حتى لا أخطط لاختطافك رابعة وعاشرة. لقد وجدت نفسي معك ولا أجد سعادتي مع أي فتاة مثلما وجدتها معك.

هي: أنت بمنتهى الأنانية كل المهم سعادتك ونفسك! أليس لسعادتي ونفسي نصيب؟

هو: قولي ماذا تريدين وأفعله لكي. هي: أريد ألا أراك ثانية. هو: هذا هو المستحيل ثم تعالى نتحدث بالمنطق. فكل فتاة لابد يكون بحياتها رجل فاعتبريني ذلك الرجل بحياتك وإلا تكوني فتاة غير طبيعية. هي: أنا غير طبيعية. هو: أنا المعالج إذن.

هي: ما هذا البرود والتناحة. هو: لولا لحظات انسجامك تكوني ممتعة وأجد معكِ صفات عشر نساء لما تحملت صفاقة لسانك. هي: أنت الصفق وأرجو ألا تتحملني واتركني لحال سبيلي. هو: سأفكر بالأمر ولكن إلى أن أجزم التفكير بعدم رؤيتك سأظل أقابلك حتى أنتهي لحل حاسم. هي: أرجوك اذهب من هنا إلى بيتي أقصد إلى محل العصافير الذي بالناصية.

هو: وهو كذلك. مر ثلاثة أيام ولم يأتِ كابوس إلى رحاب فرحت واطمئنت على نفسها وسألتها ماجده عن المهندس علي فماجده تظن أنها قصة حب منسجمة ألم يحدثك بالتليفون ولا رنة. رحاب: أنا لا أريد. ماجدة: ألا زلتي غاضبة منه.

رحاب: أراه دائما في كابوس مزعج وقليل الأدب. ماجده: وتحلمين به كمان وتقولين لا أريد تليفون ولا رؤيته انظري هناك هو يركن سيارته ثم اقترب: سلام عليكم. ماجدة: وعليكم السلام هل أتوزع أنا. هو: قبل توزيعك اعزمينا على ثلاثة سفن أب فماجده تكن له بالأمس البعيد أوقف لها تاكسي ودفع أجرته وليس خساره فيهم.

أمام مبني كلية التجارة جلسوا تحت شجره تقيهم حر الشمس ورحاب تذهب بوجهها بعيدا عنه وهو أخذ الزجاجه من ماجده ليعطيها لرحاب وفي هذه اللحظه وضع البرشامة في الزجاجه في غفلة من ماجده وحدث مثل السابق وقف هيا بنا أوصلكما إلى محل العصافير وهناك طلب من ماجدة تنزل وتترك رحاب. وأسرع بالسيارة إلى صحراء وأخذ يمضغ شفتيها كأنه يمضغ شمع العسل معترفا بهزيمته أمام تلك الفتاة وأجلسها على رجله معترفا أنها تجنن بقوله وانفعاله. بعد أن فاقت من مفعول البرشامة استنكرت هذا الوضع أن تجلس عليه هكذا إنها ستجن كيف تفعل ما لا يمكن تخيله. ثم تطلب منه ألا يأتي الكليه وهو يرد: مستحيل كل مرة أقول لنفسي سأزهق وأشبع وأنك شيقة لأنك فتاة جديدة بالنسبة لي ولكن أجدني مشدودًا أكثر إليك متشبع بك في كياني أريد العودة لك بفارغ الصبر، مر ثلاثة أيام كأنهم ثلاثة شهور فرغت خلالهم

من تسليم عمارتين وأنا أقول هذا على وجه رحاب الحلو وأتمني أحضر لك هدية بمناسبة ذلك فماذا تفضلين؟ أجابت بحنق وألم ومرارة: أنا لا أريدك ولا أفعالك ولاهداياك اتركني هل أنا أسيرة عندك؟

هو بتودد وتذلل: أبدا ياستي وتاج رأسي أنا الأسير المتذلل يبغي رضاكي.
هي: أنت الوقح الشيطان من أبناء جهنم.

هو بملاطفة: تقدري تقولي ماذا لايعجبك فيَّ وكوني جادة وواقعية لأني أعرف الصفات الجيده لشبان وعرسان العصر الحديث.

هي: أكثر ما أكرهه فيك أفعالك معي والمواقف التي أفيق أجدني بها ومن الأصل كيف أركب معك السيارة هذه النقطة دائما عليها ضباب فأنا عندي سيارة خاصة كيف أتركها بالموقف وأعود بدونها، تحججت لوالدي أنها بالتصليح.

هو: تاهت ووجدناها أعود بكي إلى حيث السيارة ولو أني أخشى عليكي تقودي بهذه الحاله. هي: أضبط عندك تقول هذه الحاله

ماهي هذه الحاله؟ هو: ربما تنسين ما أقول فأنت تدمنين البرشام وأنا أدمنك. هي: أنا لا آخذ برشام. هو: أنت لا تعرفين شيء. هي: يا سلام وأنت تعرف عني أكثر مني ألهذا الحد أنت مغرور وتفرض نفسك. هو: صدقيني يابنت الناس أريد أنهي هذه الطريقه معكي وتقابليني بالذوق والرضا. هي: في المشمش.

وبعد ثلاثة شهور أدماه ضميره تعذيبًا من أجلها. لقد أحبها حبا فائقا. فذهب في تلك المرة عازمًا على شيء. وجدها بصحبة صديقتها فتكلم باحترام يا

آنسه رحاب لو تكرمتي آخر مرة سترينى وسأخرج من معرفتك للأبد إذا شئت وأقسم برب العزه سأنفذ ما نتفق عليه لو كان موتي.

أعجبتها طريقة كلامه الجادة الحزينة ووجهه الحزين. هي: ماذا إذن؟

هو: نجلس نتفاهم وخاصة عندي كلام أبلغه لكي.

هي: أين؟ هو: أي مكان نأخذ شاي. فكرت بسريرتها هذه آخر مرة فهو جاد في حديثه فإذا كان هذا الشاي ثمن خروجه من دائرتها لامانع. وتركت سيارتها وركبت سيارته ولأول مرة وهي تعي وتعرف ماذا تفعل. كان محترمًا دمسًا نبرة الصوت حزين الوجه مجهد علامات السهر وعدم النوم واضحة ويسوق بارتباك. هي: لماذا ترتبك بالسواقة؟ هو: أخاف من قرارك بعد ما ستعرفيه. هي: الآن سوق كويس وما يريده ربنا سيكون. هو: أنت مؤمنة؟ هي: الحمد لله. وصلا لكازينو هادئ على النيل وطلبا اثنين شاي وهي متعجلة لتعرف بينما هو متعلثم لايعرف كيف يبدأ قالت تشجعه: ابدأ من أي مكان وسوف أفهم.

هو: أعرف أنك ذكية وذو قدرات عالية. هي: ما الأمر؟ هو: أريد مقابلتك لمدة شهرين فقط. هي: لماذا؟

هو: لأعالجك من إدمان تسببت لكي به. هي: أي أدمان؟ هو: الإدمان المنتشر. هي بفزع: أنا مدمنة؟ هو: نعم لكي أجبرك على لقائي كنت أضعه بالسفن أب. هي: السفن أب الذي طالما بحثت عنه ولا أجد نفس الطعم والرضا.

هو: وصرتي تطلبينه مني. هي والدموع تملأ عينيها: أنا التي تكافح التدخين تصير مدمنة برشام وسالت الدموع على وجنتيها.

فمد يده متأثرا يمسح تلك العبرات بإبهامه يتمتم ويرتعش: آسف. آسف. آسف جدًّا ياحبيبتي. هي: حبيبة إيه وزفت إيه!

هو: لو لم تصيرى حبيبتي أهيم بكي باليقظه والنوم أفكر فيكي أثناء عملي ملهوف لرؤياكي هجرت أصدقائي صفيت علاقاتي النسائيه لكي تكوني وحدك ولما وخذني ضميرى وقلبي من أجلك.

هي: مادام لك علاقات نسائية كثيرة ماذا يجبرك عليَّ لتعذيبي. هو: أجبرني في البداية عدم اكتراسك بي ثم عنادك فكنت أزداد عنادا، لابد أن تكوني لي وتبهري بي مثل معظم البنات. هي: ولكني لن أبهر أبدا بأفاق. كنت أشعر معك دائما أني بحالة اختطاف وأنا لا أحب قناصا. هو: ماذا تحبي إذن؟ هي: أحب إنسانًا ذا أخلاق رفيعة حقيقة مقوماتك الخارجية جيدة ولكن أخلاقك تحت الصفر. هو: أخلاقي ليست سيئة للغاية بدليل اعترافي لكي الآن وفي كل مرة أخذت البرشام كنت أحافظ عليك برموش عيني وخاصة حين أراكي كثوب الزفاف الأبيض ممتلئة بالنور كنت أدهش لمنظرك ولهذا الضياء الساطع وأشترى لكي الفل لتكوني والفل سواء. هي: الفل كانت دهشتي حين صحوت ذات مرة وفي رقبتي عشرة عقود وأنا جاهله حكايتهم.

يا ربي أنا في حلم أم حقيقه؟ هو: إنها حقيقه وأتمنى تعطيني فرصة كي أخلصك منه. هي: كيف؟

هو: لي صديق طبيب أسأله وأسترشد منه وسأطبق ماسيقوله معكي ولي رجاء لو تكرمتي تكوني معي من أول وجديد وبأمانة تعطيني فرصة لأكون إنسانًا ذا أخلاق معكِ وتقيميني بصراحة وصدق أنفع خطيب لكِ أم لا فأنا لو لفيت الكرة الأرضية لن أجد فتاة كالفل مثلك ولقد أدمنت الفل ولا أريد الشفاء منه فأتمنى في شهري العلاج تقابليني كخطيبة تدرس خطيبها لتكمل الارتباط ونتزوج. هي: هذا يتطلب الصراحة والطبيعية في كل تصرف ونفس لأرى المهندس علي فرج على حقيقته.

هو: وقد حس بالانتصار والفرحة وهو كذلك. . . . . هيا لتذهبي لسيارتك. هي: سوف أتنازل لأخي عن السيارة ثلاثة أيام في الأسبوع حيث ينشاجر معي من أجلها وأنا ثلاثة أيام. هو واليوم السابع؟ هي: ترقد السيارة بالجراج إجازة وضحكا ضحكة صافية معا.

-أثناء الطريق قال: لنجعل لقاءنا كل اثنين وخميس الساعة الخامسة عند بتاع العصافيروإذا وحشتيني في النصف أحضر الكلية.

قالت ولتكن مرة واحدة بالأسبوع. رد: لا من أجل العلاج ولنبدأ من الغد فهو الاثنين وليكن غذاؤنا معا. أين تحبين تناول الغذاء؟ هي: في البرج بعد آخر محاضرة.

عادت للمنزل، فعلت فعلة أنها أعطت ميعادًا بشفتيها لشخص وأرضت نفسها أنه للعلاج من السفن أب. وداعبت أخيها. ياسيدي سأترك لك السيارة من الغد. فرح أخوها وأسرع لحقيبتها هيا بالمفاتيح وجلسا على المائدة يطلبون من أمها الغذاء والأم تقول بعد مجيء بابا.

-ذهبا البرج وصعدا وطلبا مكرونة اسباكيتي واسكالوب وسلطات. هي تشعر بخجل بينما هو يشعر بسعادة غامرة. لم تستطع تكملة طبق المكرونة ووجدته ماشاء الله أجهز على طبقه فقالت: لو سمحت أعطني طبقك وخذ طبقي لإنك ستدفع الحساب كاملا وأنا لا أستطيع البلع. وبسرعة بدلت الأطباق مبتسمة وهو سعيد أنها حنونة واقعية لا تمثل.

هو: تعرفي أنك البنت الوحيدة التي جعلتني أتمنى أن أنجب بنتا فأنا أكره إنجاب البنات وأفضل الذكور مما تفعله فتيات هذه الأيام.

أقنعتيني أن عالمكن بخير. هي ضاحكة: أما أنت لم تقنعني بوجود الخير. فضحك بصوت: سوف أقنعك، وأكمل المكرونة بنهم. هي: منذ كم يوم لم تأكل؟ ابتسم: أصل اليوم كان عندي صب خرسانة سقف وأعمده وهذا اليوم يكون مجهدًا لي وللعمال.

هي: أطبيعة عملك مجهدة؟ هو: نعم ولكنها مربحة كنت موظفًا بشركة ولكني مللت قيد الوظيفة وأردت العمل الحر من أجل الحرية. هي: تحب الحرية والانطلاق بكل شيء؟ هو: بيني وبينك أكره النظام بدقة فأنا شخصية هوائية منطلقة أسعد وأنا أخالف المرور وأسبق السيارات وأدخل شارع خطأ وأسير في الممنوع فالروتين يشلني ولي أخ مهندس أيضا ينافسني بالعمل الحر. هي: من أكبر؟ هو: أنا. هي: بئس القدوة. ضحك وطلب السفن أب وأنقص جرعة البرشام ونظر لها: ثقي بي الأمر مختلف الآن.

امتد بصرها بعيدا: انظر خلفك إنه فهمي عبد الحميد مخرج الفوازير فماذا يفعل هنا؟ خرجا إلى تراس البرج ينظران بهلوان يقف على حديد البرج وفهمي عبد الحميد يصوره. تقدمت تحيي المخرج وتسأله عما يصور؟ أجاب: لقطة من الفوازير القادمة. ضغط على أسنانه: لماذا فعلتي ذلك فأنا أغار. هي بتلقائيه: إنه مخرج الفوازير. هو بحدة: ولو إنه رجل.

هي: عموما لنذهب بعيدا عنه وننظر من منظار البرج منازلنا. حقا أين تسكن؟ هو: أسكن بمصر الجديدة بميدان الإسماعيلية ولي أخ أكبر متزوج بسانت فاتيما وأخي الأصغر متزوج أيضا ويسكن معنا. هي: الأكبر والأصغر متزوجان وأنت لا! هو: أبحث عن عروس وأخيرا وجدتها. هي: لم يصنع السفن أب من أجل تلك المهمة وضحكا بانسجام. يكفي هذا الوقت ولنذهب إلى العصافير. هو: موعدنا الخميس سأقف بانتظارك من الساعة الخامسة حتى السادسة أما أنت إذا وصلتي قبلي انتظري ربع ساعة فقط تمام كده؟ هي: تمام.

المهندس علي مغموس في مشكله تجعله مجهدًا وعلامات السهر والتفكير تبدو عليه هذه الأيام فله زوجه غاضبه عند أهلها منذ سنتين وكلما عزم على طلاقها يأتي من يهدئه ليتمهل مثل صديقه شريف الذي يملك معرض موبيليا ودائما على عند هذا الصديق.

وهذه المرة لم يقنعه شريف أن يتمهل وسأله: لماذا لا تتركها بطفليها على هذا الوضع؟ أجاب: لأني سأتزوج بأخرى وجدتها بعد عناء. شريف: أتحبها؟ علي: حبا جما لا أقدر على وصفه. شريف: تستاهل؟ علي: لو تعاملت

معها لوجدتها كثوب الزفاف الأبيض الساطع. كقطعة من السحاب. باقة من الزهور. قرص من شمع العسل.

شريف: ما هذا كله لم أجدك شاعرا رومانسيا. أهي جعلتك؟ يا لها من مؤثرة جدًّا إذن!

علي: وأنا شغوف بها جدًّا ياشريف أظنني بحالة عشق. كنت دائما أسأل ما الفرق بين الحب والعشق وأخيرا عرفت الفرق.

ولا تسألني ما اسمها ومن هي ستعرف كل شيء عندما تحضر زفافنا. شريف: اتفقتم لهذا الحد؟ علي: ليته يكون.

شريف: وطفليك؟ علي: لن أقصر فيهما فأنا أحبهما كثيرا ونفقاتهما من عنيا. شريف: فكر كويس وربنا يوفقك.

جاء يوم الخميس وجدته منتظرًا. ابتسمت سعيدة إنها تدلعت في اللبس وهو ينتظر. قال: لماذا التأخير؟

هي: يسعدني أتدلل وهناك من يتحمل وينتظر وها أنت منتظر. علي: مادام إحساسك هكذا فمن واجبي أشبع إحساسك.

أتودين أنتظر من الخامسة إلى السابعة. قالت: ليس لهذا الحد يكفي إلى السادسة. هو: تحبي إلى أين؟ قالت وهي تغني: وديني مطرح ما توديني كل مكان وياك يرضيني. عرف بها أنها تغني فهي سعيدة لا تتبرم كسابقا. وقال سآخذ اثنين سفن أب ونذهب نشربهم في المكان الصحراوي.

هناك سألها: ماذا فعلتي أمس وأول أمس احكي بالتفصيل لأحس أني معكي ولو لم أكن معكِ.

هي: ذهبت أشترى بنطلونًا و. و. . التفت إليها لماذا توأوئي؟ وجد وجهها ارتبك وحزن فالتهف: ماذا؟

هي: وجدت من أثار عقدة في طفولتي. هو باهتمام: ما هي؟ ومن هو؟ قالت: بعد سؤالي عن بنطلون بمحل في قصر النيل خرجت إلى الشارع فوجدت عائلة كبيرة أمام المحل ورجل منها يحمل طفلة ذا الأربع سنوات على كتفيه وحذاء الطفلة يتخبطان صدر الرجل وهو مبتسم فنظرت لهما فقال لا تنظري، وأنت صغيرة كان أبوكِ يفعل لك فأثار عقدتي. رد حائرا وما عقدتك في ذلك؟

هي: أبي كان يعمل بالكويت ولم يحملني هكذا بهذا السن ولا غيره. اطمأن وجهه وضحك وقال: والله لأحملك أنا بهذه الطريقة انزلي من السيارة. هي: ماذا ستفعل؟ هو: انزلي. هي: يامجنون كيف ستحملني؟. هو: اصعدي ظهر العربية ومدي رجليكي وسآتي بظهري لتصعدي أكتافي. تضحك رحاب ولا تتمالك نفسها من الضحك وصعدت أكتافه العريضة وأخذ يجري بها: إلى أين تذهبين يا هانم؟ هذا حنطور خصوصي. هي: بل حصان وأنا فوق الحصان. قال وهو يجري بها: تحبي تركبي حصان. هي: جدا. هو: يوم من الصباح نذهب الهرم. هي ليس عندي إجازه غير يوم الثلاثاء. فلنتقابل الثلاثاء وليس الاثنين. فكان لقاء الساعة التاسعة صباحا ولكنه لم يذهب الهرم بل ذهب موقع عمله. سألته لماذا؟ أجاب عندي شغل متأخر وأريدك تريني بعملي. هي مداعبة: لكي

أصدق أنك مهندس فكلمة يا باش مهندس العمال ينادون بها بعضهم وأي شخص بأي مجال فهذا لا يعني أنك مهندس. ضحك وأخرج بطاقته: اقرئيها. وجدت الاسم والمهنة صحيح ولكن الحالة الاجتماعية متزوج. اندهشت: ما هذا يا علي أنت متزوج؟ قال: افرضي. هي: طبعا لا فلتقطع علاقتك بي فورا. قال وهو يسحب البطاقه من يدها: لا. لا. يا شيخة اكتبت خطأ ولكي أصححها موال وغلبه فقلت لاداعي تغييرها ما دمت سأتزوج. هي: لا أصدق. هو: عيب نحن متفقان الصدق. ونزل يحدث العمال ليشد من همتهم ويصدر أوامر لرئيس العمال بعدد أسياخ الحديد بالعمود الواحد. أحضر لها الجريده لتتسلى وعزم عليه رئيس العمال بواحد شاي للهانم ويقول: أيوه كده يا باش مهندس اليمامة دي ليست كالسابقة إنها من سلالة جيده فهذه تستاهلك كنت خادما لدى جدها وأنا صغير وأعرف أباها ابن عائلة عريقة وكنت أحملها وظللت أتودد لهم حتى عملي بالمعمار.

ذهب علي ينظر عليها وهي تشرب الشاي وتقرأ فوجدها تضع قلم رصاص خلف أذنها وتقرأ باهتمام وانغماس حتى لا تنظر إلى العمال فإنهم بشقاء حقا. فضحك كثيرا من ذلك المنظر: لماذا تفعلين هذا؟ أجابت مبتسمة معتدلة بمقعد السيارة: لكي أندمج ببيئتك فرأيت رئيس العمال يضع قلما فظننت ذلك ضروري. هل أمامك كثير؟ هو ينظر من نافذة السيارة عليها: بضعة من الوقت. زهقتي؟

هي: أبدا بالمرة أعرف مقدار الجهد الذي تبذله وأضعه في التقدير أنك لست مستهترًا. هو: انسي. انسي أنا الآن جاد ومحترم.

تنهدت ورفعت القلم من خلف أذنها. أجل. عادت المنزل فالأسرة تنشغل بعرس ابن عمها وماذا سيرتدي كل فرد في الفرح وبالطبع رحاب تريد فستانًا جديدًا. الحفل يقام بالهيلتون وأهل العروس مستوى عال ولابد أهل العريس بنفس المستوى.

اشترت فستانا روز وفروًا أبيض لتضعه على كتفيها وبدت كأميرة في ذلك اليوم تتحرك بأنفة وكبرياء مجاملة حبوبة للجميع.

- كان علي مندمجًا بالعمل الذي كثر عليه وأصبح يؤجل الكثير في تسليم الشغل وأخوه يتفوق عليه فهما بمبارزة باردة ولكنها للمصلحة.

أخذ يفكر كيف يعرفها بأطفاله بداية أنهم أطفال أخيه ليرى رد فعلها ومعاملتها للأطفال. كانت ملائكية مع الطفل الذي جاء معه ذو السنتين وتقول: هذا طفل جميل ويشبهك من؟ قال: ابن أخي متعلق بي جدًّا فقلت لكي رضا أخي يسكن وزوجته معنا وهذا الولد يحبني وأراد الخروج معي فجئت به ما رأيك بالمفاجأة؟ هي: إنه جميل وكأنه ابنك. هل أخوك شبهك لهذا الحد. هو: نعم.

هي: أطمئن إذن على أبنائي وضحكا كثيرا إلا الطفل كان ينظر لها نظرات حادة ومظلمة وهو يجلس على رجل علي.

كانت تحس وحاولت عدم الاكتراث. ذهبوا إلى كازينو الجبل الأخضر بالمقطم وحول المسبح جلسوا أسرة. وكان خلفهم سمير الإسكندراني المغني يداعب الطفل فيأنس له أحمد ولكنه لا يأنس لها. أصرت تشترى له شيكولاته أثناء العوده وهو لا يريد منها شيئًا.

آلمها ذلك. فسره علي لأنه أول مرة يراها.

- لقاء آخر ذهبا إلى الإسماعيلية ونزلا المياه بشاطئ الفيروز وكانت كالفراشة على الماء عندماوقفت برجل واحدة تغني.

وهو كالطفل التائه لا يعرف كيف يقول أحمد ابني وليس ابن أخي. أثناء تناول الغداء وكان سمك جاءته زغطة متلاحقة فقامت تخبطه على ظهره لا فائده. تعطيه ماءً فلا فائده. نادت الجرسون مسرعة هل لديكم يد هون؟ تعجب الجرسون ولكنه لبى الطلب.

فنظر علي محتقن الوجه متعجبًا. قالت: يدي لم تنفع ربما تنفع هذه. انفجرا ضحكا ومعهم الجرسون وشرب ماءً كثيرًا حتى هدأ.

وكان آخر لقاء للشهرين المحددين. انتظرها كالعادة وجاءت متأخرة ترتدي درلا أخضر وتحته بلوزه زيتية اللون وهو ينتظر على نار.

هي: لماذا على نار فأنا دائما أتأخر. هو: ألا تعرفي لماذا هذه المرة؟ هي باستفهام: لا.

أدار كاست السيارة أغنية سميره سعيد مش هتنازل عنك أبدا مهما يكون يا اللي اديت لحياتي في حبك طعم ولون. . . إلخ ، يسمع وينظر لها من الحين للآخر وهي تسمع ولا تعرف ماسبب تجهمه. فحاولت قطعة صور فرح ابن عمي طلعت وهذه صورتي أبدو كالملكة أليس كذلك؟ هو: أود أكون معكي بكل المناسبات. هي: كيف؟ هو: بيدك الحل اليوم. وصلا صحراءهما حيث تطلق عليها الكهف.

هي: ألا تصدقني هذا المكان كالكهف افرض كاوتش سيارتك فرقع كيف نعود؟ قال: أنا في عرضك أعطيني النتيجه لا تلعبي بأعصابي. هي: ماذا إذن؟ هو: اليوم آخر موعد في الشهرين ماذا أكون عندك؟ أكون أو لا أكون. فطنت وحاولت المراوغة. أوه هاملت أنت هاملت هذه الأيام؟ وفتحت باب السيارة ونزلت تأخذ نفسا عميقا من الهواء الطلق. وهو يقترب منها وشفتاة تتلعثم يحاول مسك يدها عله يعرف الإجابة من يدها فتركتها بين أصابعه قائلة أهلا وسهلا بك في قلبي وفي بيتنا لمقابلة أبي. انفرجت أسارير وجهه وهلل هيه نجحت وحملها بين يديه يجري هنا وهناك ويلف حول السيارة هيه. هيه. وهي تضحك نزلني أنا ثقيله عليك. هو: واحد شايل روحه الثاني زعلان ليه. هي بدلال: ثقيله عليك ياحبيبي. هو: ياه أول مرة تنطقيها ثم أنزلها فوق مقدمة السيارة: كم تمنيت أن أسمعها منك.

اعتدلت جلستها وهو مائل عليها يلف ذراعيه حول خسرها يردد: أنت أكثر بكثير من حبيبتي آه لو أفتح بطني وأضعك داخلي ثم أخيط.

هي: تستطيع ترتدي قميص واسع ثم تقفل الأزرار وأنا بداخلك وتحقق أمنيتك وكانت تهمهم وتلف يدها حول رقبته. تعرف أول أمس رأينا شريط فرح ابن عمي. طول الوقت أتخيلك العريس وأراني العروس حتى المعازيم كان وجهك يطل من الشاشه مع كل منهم.

هو: كم كنت أحتاج لسماع كلامك هذا. هي: أجل ياحبيبي أحببتك وأود الارتباط بك فكانت القبله العميقه وهما يلتفان وتلتف أرواحهما.

هي خجلة ولكنها راضية وسعيدة. وذهب علي لتابلوه السيارة وأحضر زجاجة برفان يقدمها لها بمناسبة نجاحه عندها. ضحكت وصعد إليها شعور وهي تأخذها كالطفلة. فنعطر الصحراء حتى تشهد حبات الرمل حبنا العطر وأخذت ترش الهواء والسيارة وحبات الرمل. وهو: لو كنت أعرف لأحضرت عشرة زجاجات لنحفر المكان بحبنا وعطرنا. ومتى أقابل والدك غدا أم اليوم.

هي بدلال: أعتقد بعد الامتحان أفضل حتى لا أنشغل بالخطوبة. أود مشاركتك جو الامتحان. هي: ستحضر الامتحان معي؟

هو: أوصلك صباحا وأنتظرك خارج الخيمة ثم أعيدك للمنزل. هي: إرهاق عليك. هو: واحد مرهق بروحه الثاني زعلان ليه.

وعلى العموم هما مرتان فقط بالأسبوع فلا أستطيع العيش بدونك وقت الامتحانات. هي: لم تعد لي حجج عليك فقد رحبت بك في قلبي وحياتي وأهلا وسهلا بك في روحي واحتواء إصبعي بالدبله. هو: سأقابلك ونظل نراجع معا. القرب منك ممتع المهم أن تملئي حياتي التعسة. هي: لماذا حياتك تعسه؟ لم تحدثني عن ذلك الجانب مع أني رأيت حزنا كبيرا عليك وعلامات سهر ولم أسألك أردت تقول لي من نفسك. هو: وإذا عرفت لا تتركيني؟ هي: المفروض أقف جانبك. هو: يا ريت يا رحاب على العموم بعد الامتحان أفضل.

- نفذ ما عرضه عليها وانشغل بمذاكرتها وكتبها والمراجعه معها قائلا: يسعدني أني عدت طالبا. وكان يلف من أبعد الطرق أثناء العودة لمحل العصافير.

- تقدر رحاب ذلك الجهد والمشاركة وشعور الحب وفي آخر يوم في الامتحان جاء يرتدي بدلة تحتها قميص واسع مهرول عليه. تعجبت رحاب وسألته: ما هذا القميص؟ ألأخيك الأكبر ولبسته خطأ؟ ضحك وقال لأضعك بداخله وأقفل الأزرار علينا. انفجرت ضاحكة لا يجوز الساعة الواحدة ظهرا. هو: نتقابل الخامسة ونذهب إلى الكهف - القطعة بتاعتنا بالصحراء -، هي: كيف عرفت ذلك المكان؟

هو: أنا مهندس مهمتي تعمير الصحراء. هي: آه المهندس جيّ ياصحرا المهندس جيّ. هو: جيّ بأروع صبية تعطر الصحراء.

- في المساء أثناء ضمه لها وزرعها في بطنه وأزرار القميص مقفلة عليهما تردد في الحديث ثم جمع إرادته عندي مشكله صغيرة أود تعرفيها قبل مقابلة والدك. هي: خير. هو: وضع حاولت فتحه معكِ كثيرا ولكن كنت أتراجع عن الاعتراف.

هي: قلقتني ما الأمر؟ هو: دائما ترفضين الارتباط برجل في حياته امرأة أخرى.

هي: أجل وقلت لي صفيت علاقاتك ولا يوجد سواي. هو: كنت كاذبًا كانت هناك زوجتي.

هي: بصرخة عالية آه. لا. لا. وفتحت أزرار القميص وخرجت مندفعة كأنه صفعها على وجهها وجلست منهارة بالمقعد مهدودة ماذا تقول: فجعتني مثل فجيعة البرشام لماذا يا علي؟ لماذا يا علي؟ أنا لم أفعل بك شيئًا وأظن الطفل كان ابنك، فهمت من نظرته القاسية لي.

هو: لا تكوني حساسة إنه لم يكمل سنتين.

هي: إنه يحس ولا يريد غير أمه تجلس جانبك وتحدثك. لا. لا. كثير. لا أحتمل هذه الحقيقة المؤلمة الأخرى.

هو: يمد يده يربت على ظهرها وكتفها. هي: تقذف يده بعيدا: لا تلمسني أنت أفاق كاذب.

هو: سامحيني خشيت أفقدك وأنت أغلى من روحي. الموت بدونك أفضل.

هي: تبكي بحرقة بصوت يمتزج الصريخ بالبكاء قائلة: لن تقابل أبي. هو: لقد طلقتها الآن. هي: متى؟ هو: منذ شهر. هي: أثناء مشكلتك والحزن والسهر على وجهك.

هو: نعم. هي: وكنت تكذب إنها مشاكل عمل. هو: سامحيني لم أكذب بغيرها دائما تهدديني بتركك لي وهو الموت الحقيقي عندي، لقد حاولت معرفة فتيات غيرك والعودة للقديم منهن ولم أعد أرتاح إلا معكِ لم أجد نفسي إلا معكِ هذه التركيبة التي تصنعك لا أجدها إلا فيكِ وأنا مولع بهذه التركيبة التي هي أنت.

هي: لماذا حاولت معرفة فتيات غيرى؟ هو: لأثبت لنفسي أني مرغوب وأستطيع معرفة عشرة وعشرين ولكن كنت فاشلا لأقصى حد. أنت مسيطرة على جميع مشاعري وحواسي. هي: وتعرف ليه ما دام لك زوجة.

هو: غاضبة عند أهلها منذ سنتين، ذهبت تلد أحمد ولم تعد ولكرهي فيها تركتها وحاولت مرارا تطليقها، وكان يمنعني صديقي شريف من أجل الولدين وحين وجدتك قررت لاداعي لبقائها بهذا الوضع المعلق فطلقتها.

هي: إذن الطلاق كان بسببي وأنا لا أطيق لنفسي أن أكون سبب الشر.
هو: لست السبب صدقيني منذ سنتين وأنا أكرهها، ولقد سألت عالم فلك وعالم دين قالا: إن الموضوع تقابل أرواح وروحي وروحها في تنافر مستمر وشديد.

هي: وما ذنب روحي في كل هذا من بداية ظهورك حتى الآن؟ هو: سيكون خيرًا إن شاء الله حين أقابل والدك.

هي: لن تقابله. هو: صدقيني موضوعي معها انتهى. هي: لكي لا أنسب لنفسي شرا لابد أن تعيدها لمدة شهرين على الأقل وترى ماذا سيحدث؟ تنسجمان أم تفشلان مرة أخرى. هو: هذا رأيك؟ هي: بل شرطي لكي تقابل أبي.

هو: لي شرط تظلي معي كما نحن حتى تظهر النتيجة عندي بعد شهرين.

هي: موافقة على مضض. ويوم الاثنين الساعة السادسة كانت حائرة مكتئبة وهو ينتظر من الخامسة فركبت قائلة: لنذهب إلى ومبي نأكل آيس كريم ثم نعود وتذهب بعينيها بعيدا عنه حتى لاتلتقي عيونهما. ولكنها عرفت أنه أعاد زوجته فعلامات الاستقرار تبدو عليه في ملابسه المرتبة فلا يخرج القميص من أحد الجانبين. من تجشئه كمن ملأ بطنه في الغذاء ثم نام الظهيرة. ولم تقل شيئا. هو: ستظلين صامتة؟

هي: أنا كده. هو: آه فهمت. افعلي ما شئت لقد عرفت العسل معكِ وسأتحمل البصل.

- أثناء الطريق إلى ومبي في إشارة مرور كانت فتاة حسناء شعرها يتدلى لمؤخرتها تعبر الطريق وعند سيارته المرسيدس تلكأت وأمسكت بمقبض السيارة من تجاهها. نظرت رحاب بذهول ما هذه الجرأة وهو يحاول الانشغال بالإشارة متى تفتح ويتقدم مسافة. رحاب تقول بعنف: ألم تسمعني؟

هو: ماذا؟ هي: أشاهدت الفتاة الجريئة. هو: ياستي بنات عايزة اللي يلمهم.

هي: لماذا سيارتك بالذات؟ الإشارة بها مائة سيارة. هو: وما ذنبي؟ هي: مؤكد لك ذنب. فتحت الإشارة فأسرع يجري.

رحاب ترقب الفتاة بعد انتقالها إلى الرصيف الآخر ومصممة أن يقول شيئًا. هو: ليس لي ذنب ويجري بالسيارة.

رحاب: آه نزلني أريد العودة لمنزلي سآخذ تاكسي، فأنا يغيظني شعرها الطويل. هو: أمرك عجيب يا رحاب يجوز تشابهت عليها السيارة. هي: شعرها طويل للمؤخرة وأنا شعري لايطول أكتافي. هو: مش فاهم. هي: قلت لي مرة أنك تحب الشعر الطويل ولو شعري يطول يكون أفضل، إذن أنت لا تحبني كما تقول. هو يضحك بكتمان: لا يا حبيبتي أحبك كما أنت!

هي: لو شعري طويل كنت هتحبني أكثر. هو: يجوز.

هي: إذن أنت الآن تحبني إلا حتة. هو يضرب كفيه على بعضهما: حبيبتي ماذا بكِ؟

هي: لا تقل حبيبتي نحن الآن بخصام. هو: سأصالحك. هي: نزِّلني. هو: اتفضلي انزلي هاهو ومبي.

جلست على أقرب منضدة وهي كالبركان، فطلب آيس كريم وعندما تناولته بدأت تهدأ. هو: أنت كويسة دلوقتي؟

هي: الحمد لله. هو: ماذا كان بك؟

هي: أنت الذي كان بي منذ عرفتك ولم أعد في سلام مع نفسي أو سلام مع ربي في الصلاة أصبحت أخجل من مقابلته ولا سلام مع أبي وأمي وإخوتي دائما أهرب بعيني منهم. لم أعد أذاكر لأخي الصغير مادة الرياضيات

أصبحت فاشلة في الرياضة أنت الذي بي وأنا متأكدة أن هذه الفتاة إحدى فتياتك قدومها السيارة ونظرتها إلى السائق تقول ذلك.

أنت كتلة عذاب بالنسبة لي. لقد أفسدت سلامي وسلاسي مع أركان الحياة.

هو: أنا جزء من الحياة يا رحاب كان مغلقا عندك كل ما فعلته أني فتحته.

هي: فتحته عنوة دون إذن لم أكن أريد الحب كنت أنصح زميلاتي بعدمه من أجل الالتزام والاحترام.

هو: رحاب أنا مقدِّر حالتك وشعورك وغيرتك وأتمنى فعل شيء لكي أريحك. ولكن لا أدري ماذا أفعل؟

هي: ولا أنا عدت أدري شئًا وصمتت شاردة ثم: من فضلك كفاية. هو: على شرط تأتي مرحة المرة القادمة وآسف أني سبب لحالة الكآبة.

المرة التي تليها ذهب بها الإسماعيلية بشاطئ الفيروز وظل يمرجحها ثم قال اقفزي يارحاب وسأتلقفك بين يدي وإذا تلقفتك صح سأكون جديرا بكِ وفعلا قفزت وتلقفها على صدره وقبّلها في جبينها وهمس إذن أستاهالك. هي: والتي بالبيت؟

هو: انسيها أنا لا يصبرني عليها إلا وجودك بحياتي، كلما كان شجار بيني وبينها أتخيلك أمامي وأفكر لو كانت رحاب ماذا أفعل؟ أجدني أهدأ ولا أتشاجر وأتخَيَل خفة دمك، فهي دمها ثقيل مثل البق فأذهب بعيدا وينتهي الموقف.

رحاب: إذن استخدم هذه الطريقة طول العمر.

– علي: هذه الطريقة لأني على أمل بموعد ولقاء معكِ، أما وأنت خارج حياتي، فهي كالقبر بالنسبة لي وأنا أريد أعيش لا أموت.

– رحاب: سوف تموت لا محالة أو أموت أنا.

هو: تخلصي من الكآبة وعودي لمرحك الذي يسعدني ويطربني.

– هي: يحضرني الآن عذاب يادنيا عذاب لفريد الأطرش. وبالصدفة راديو الكافيتريا يشدو بها، فنظرا لبعضهما وابتسما وتشابكت أيديهما وهما على الشاطئ والأمواج تداعب أقدامهما.

هو: ما رأيك نتقابل صباحا ونذهب الهرم لركوب الخيل؟

هي: وعملك؟. هو: أنت أهم لتخرجي من الكآبة.

- ارتدت بنطلون ولم تضع بوجهها شيء وعقصت شعرها ذيل حصان وذهبا الهرم وسمعته يطلب من السايس حصان نتايه لها وحصان ذكر له.

اندهشت لماذا؟ قال: لأني أغار. ضحكت من عمقها وصعدت فوق حصانتها وانطلقت فهي تجيد ركوب الخيل. أما هو فلا يجيد وظل خائفا فمشى على مهل.

بحثت عنه بعينيها فلم تراه. يبدو أنها بعدت عنه فأخذت تنادي ياحبيبي يااللي متزوج واحدة بايخة اسمها إيمان ياحبيبي أين أنت؟ بالعند فيها "علا صوتها" بحبك. بحبك. فوجدت فارسًا يتقدم ها أنذا متزوج واحدة بايخه ودمها ثقيل واسمها إيمان ضحكت بشدة وكان علي قد جاء وسمع الحوار وأخذ الثلاثة يضحكون. أما فارس الحصان يقول أنا تنطبق بي الشروط فلماذا هو. . . ؟

- بدأت تتأقلم بلقائه بهذا الوضع وفي سريرتها لتتحمل معه الشهرين حتى يتأكد الأمر بينه وبين زوجته.

أم كلثوم تغني بكاسيت السيارة فسألها أي أغاني أم كلثوم تذكرك بي؟ قالت أهرب من قلبي أروح على فين ليالينا الحلوة في كل مكان. قال تذكرني بك أغنية أقبل الليل وجملة أين أنت الآن بل أين أنا. فهي تنطبق على شعوري جدًّا عندما لا تكونين معي أجدني في ضياع أبحث عن نفسي أين أنا. هي: أحضرت لك هاتان اللعبتان لأولادك فكنت أشترى لعبة هدية لمولودة لأخت ماجدة وتذكرت أولادك. ألا تريني ابنك الثاني.

هو: المشكلة أنه أربع سنوات وما يراه سينقله.

هي: فهمت ولذا أتيت بالصغير هل الآخر يشبهك أيضا؟ هو: يشبه أمه.

هي: وما شكلها؟ هو: رحاب الحديث هكذا يقودنا للحزن وأنا ما صدقت تروقي بعض الشيء وشكرا ياحبيبتي الغالية على اللعب.

هي: ياريت الموضوع كلَه لعب وأريد العودة عندي صداع. هو: النتيجة ظهرت سأذهب غدا لأراها لكِ.

هي: لا تتعب نفسك ذهبت ونجحت الحمد لله.

هو: واللعب بهذه المناسبة؟ هي مبتسمة: ربما. هو: ولكن أنا الذي راجعت المنهج معكِ ووصلتك وليس أطفالي.

هي: ماذا تريد؟ كان هو يدور بالسيارة بمصر الجديدة ليريها أين يسكن ثم قال: ما هديتي؟

هي: زجاجة "أولد سبايز" فعندما تختلط بعرقك لها رائحة تلتصق بأنفي تجعلني أشعر بك من بُعد عشرات الأمتار.

هو يميل برأسه يحاول يقبلها من خدها.

- هي تبتعد: أهكذا بالطريق العام!! ثم بعد انتهاء الشهرين ماذا سيحدث؟

هو: يارب آخذ هديتي.

لقاء أخير بنهاية الشهرين طلب منها يكتبا في ورقتين لا إله إلا الله. محمد رسول الله وكل منهما يأخذ النصف.

هي: بلاش فأمس كان فيلم في بيتنا رجل وزبيدة ثروت وعمر الشريف فعلا ذلك ومات عمر الشريف وبقبضته الورقة.

فهذا فأل سيئ عليك. هو: نكتب شيء آخر.

هي: اكتب أنت "بحبك يا علي" وسأكتب أنا "بحبك يا رحاب" وتأخذ أنت ما أنا كتبته والعكس.

هو: كي أموت وأنا أقرأ بحبك يا رحاب. هي: بعد الشر. أتى الجرسون بالحساب ولكني أريد شايًا آخر.

هي: انتهى الشهران ما قرارك بالنسبة لزوجتك؟

هو: أستطيع بقاءها بشرط وجودي بدونك ليس لي قدرة لتحمله إنها كالقبر ولا أتحمل هذه الظلمة إلا لوجود جانب آخر من النور في حياتي وهو أنت.

هي: فهمت تريد تكملة لحياتك ليظل طفليك معك سأفكر بالأمر.

- رحاب تفكر بجدية بالموضوع وخاصة بعد ظهور ابن خالها على السطح مرة أخرى كعريس ويعمل على الحدود بحلايب بين مصر والسودان. فقابلته لتعرِّفه نتيجة تفكيرها.

هي: لقد وجدتني لا أتحمل أكون تكملة، فأنا أساس وفرع وكل شيء وأنت تستطيع الحصول على واحدة مثل فريدة التي حدثتني عنها ذات مرة أنها جارتك ومطلقة وتدور حولك، مثلها تقبل تكون تكملة.

هو: أنا مندهش وقد هرب الدم من عروقه، عدتي تهدديني بحرماني منكِ. هي: هذا هو الحل لإنهاء عذابي سأقبل ابن خالي.

هو: وتذهبين إلى حلايب؟ هي: أذهب أي مكان المهم يوضع لعذابي نهاية وأنت مصدر عذابي وحبك منبع فقدان سلامي مع بنود الحياة. هو: أكيد هذا مزاح ولن تقتنعي بهذا الرأي.

- نظرت رحاب بالاتجاه الآخر وأخذت نفسا عميقا وبسريرتها: لا داعي للنقاش الفعل يقطع الشك باليقين.

هو: ينادي الجرسون بارتباك وعرض تحبي نقوم. هي: نعم.

بالفعل أعلنت لأمها الموافقة وتحدد موعد الخطبة وقدم لها الشبكة والزواج في أقرب وقت حين يجهز شقة بحلايب وهي ستكمل دراستها انتساب وتأتي على الامتحان وأحيانًا لتأخذ المحاضرات من ماجدة.

- لم تحضر لقائين فكان ينتظرها من الخامسة حتى السابعة ثم أتت لتخبره لا يجوز اللقاء بعد ذلك، نظر يدها ورأي الدبلة، وضع رأسه على عجلة القيادة وأخذ يبكي. تأثرت وربتت على كتفه قائلة: هذا قرار يريحنا وسوف تستقر مع زوجتك بعد فتره وقصر جدًا هذا اللقاء.

- في أقرب وقت عُقد القران وذهبت مع زوجها. أما هو أصبح عصبي المزاج بشدة عنيف حتى تركت زوجته المنزل مرة أخرى. وإذا باشتباك حاد بين مصر والسودان في نزاع هل حلايب مصرية أم سودانية؟ ففكر برحاب وخاف عليها أن يصيبها مكروه، فأوقف عمله أسبوعا وسافر إلى حلايب لكي يحميها ولم يعرف أن رحاب وزوجها قد نقلا إلى حدود مرسى مطروح.

وبكل أسى ألقيت قنبلة أثناء الاشتباك أصابته من ظهره فوقع على الأرض ويده مطبقة على الورقة التي كتبتها رحاب بخطها.

بحبك يا رحاب.

# المحتويات

| ٢٠١٣ / ٥٤٧٦ | رقم الإيداع |
|---|---|
| 978 - 977-10 -2868 - 0 | I.S.B.N<br>الترقيم الدولى |

# هذا الكتاب

- لابد من العطاء والتضحية حتى تبتسم الحياة.
- مهما تأزمت الظروف والأحوال لابد من التمسك بالعزيمة والأمل للنصر على الحياة.
- مهما زال الجسد الترابي فماهية أحبائنا باقية حتى نلتقي بهم.
- تحقيق الهدف والحب لابد أن يكون بشرف وأخلاق.
- اللجوء إلى الدين يقي من الضلال.

سامية موسى






I.S.B.N.978-977-10-2868-0




تطلب جميع منشوراتنا من وكيلنا الوحيد بالكويت والجزائر
دار الكتاب الحديث